الثقافة

مجلة فكرية تصدر في دمشق

شبكة كتب الشيعة

الثقافة

فكرية جامعة تصدر في دمشق

تأسست عام ١٩٥٨

صاحبها ورئيس تحريرها

مدحت عكاش

الادارة والتحرير :

دمشق - شارع الارجنتين

هاتف ٢٢٩٩٨٤

ص.ب ٢٥٧٠

REVUE " AL - SAKAFA "

PROPRIETAIRE DIRECTEUR EN CHEF

MIDHAT AKKACHE

DAMAS (R. A. S.)

B. P. 2570 - Tel. 229984

أيلول

١٩٨١

shiabooks.net
maktba.net رابط بديل

الشاعر الكبير

بدوي الجبل

محمد سليمان الاحمد

في ذمة الله

لقد اخمد الصوت الذي كان عاليا ، وانطوت صفحة من صفحات ادبنا الاصيل بموت شاعرنا الكبير بدوي الجبل .

لقد مات الشاعر الكبير بعد ان ملأ الزمان وملأ صوته الاسماع والقلوب وغنى امته وبلاده باعذب الحانه واروع شعره . لقد عاش بدوي الجبل شاعرا .. ومات شاعرا .. وترك بموته الفراغ الكبير الذي قلما يملأوه شاعر غيره فهو واحد من بقايا السيوف ومن اولئك الذين قلما جاد الزمان بمثلهم عبقرية وشاعرية .

لقد احتل هذا الرجل العظيم مكانته السامية في قلوب العرب جميعا . وما نزل هذه المنزلة من نفوس الناس ، الا لما يحمله في شعره من اصالة وحب واحترام للغة وجهاد في سبيل بلاده وعزتها ، وكفاح في سبيل امته ورفعتها . ولما يحمله في قلبه الكبير من وفاء للعرب والعروبة ولرفاق دربه في جهادهم الطويل ، اولئك الذين بكاهم بدماء قلبه قبل دموع عينيه ، ووقف على قبورهم وقفة الاخ والصديق ، يحمل وفاء العربي واصالته وكرم خلقه .

رحم الله البدوي . وطيب ثراه وجزاه الله عن امته قدر ما قدم لها.

ومجلة « الثقافة » التي كانت تجد في الفقيد العظيم الاب والاخ والصديق ترفع الى الامة العربية ، اسمى آيات التعزية متمنية لاسرة الفقيد الصبر والسلوان .

رئيس التحرير

السَّهروردي

بقلم : د . محمد جبر

السهروردي معلم الحكمة الاشراقية
بين الذاتية المقفلة . والكلية المطلقة
● الشاعر والفيلسوف والعالم●

كان السهروردي أوحد اهل زمانه في العلوم الحكمية ، جامعا للعلوم الفلسفية ، بارعا في الاصول الفقهية ، مفرط الذكاء ، فصيح العبارة ، وكان علمه اكثر من عقله.
« ابن أبي أصيبعة »

لو لم يكن السهروردي فيلسوفا مميزا ، وشاعرا مطبوعا مهما في تراث الانسانية ، لما وقفنا هذه الوقفة المتأنية عند شعره وفلسفته ، ولو لم يكن صوفيا جعلت رؤاه فجأة تنسرح شعرا وحكمة ، لما وقفنا ايضا هذه الوقفة الطويلة عند رؤاه . ولست اول الدراسين للسهروردي الشاعر والحكيم العربي الكبير رغم انني وبكل تواضع أرى نفسي معتديا على اختصاص دارسي الصوفية المختصين ، لكنني رأيت شيئا ملحا في وجداني لتناول هذا الفيلسوف الكبير ، ولاتطمع دراستي في ان تكون مجارية للمتخصصين . لكن السهروردي أتانا بالشعر والتصوف معا ، وانه قد اغرانا بالاستماع والانصات لحكمته وشعره معا مما شدنا اليه ، وتركنا ننشده في عالمه الساحر العجيب ، والتأمل . وهو يوحي الينا فيما يقول قضاياهم الانسانية ، وبأن فيما يقول تطلعا في غاية الثقافية ووضوح الرؤى ، لابدلنا ان نتقراه بامعان شديد . وأهم من ذلك ، فان السهروردي الحكيم كان عطاؤه ذخرا للشعر العربي : الشعر كتجربة ، وحس ، ورؤى ، وسحر ، واثارة ، واقلاق ، وبهجة وانفعال ، وارتعاش بلحظة علوية صافية ، وشطحة مادية جذلة ، وشعره غني بذلك كله . بل انه يكاد يقنعنا بأن علينا نحن ايضا ان نشارك في النشوة الصوفية والحلم الخارق ، والاسراء في سماء الحقيقة الآزلية واذا تعثرنا في نشوتنا ، اواذا قصرنا عن التحليق في ابعاد تتعدى امكانيتنا ومدانا على ماالفنا ، فيكون الذنب ذنبنا نحن ، اذ ليس على الشاعر والفيلسوف الا ان يزحزح ، ويحرك ويدفع عقلنا وفكرنا وذاتنا ، الى التفاعل بما نحسن ونرى ونلمس وعلينا نحن ماتبقى .. من استشفاف وتذوق والمام. ونحن قد نشارك فعلا في مسار حركة الفكر الانساني أو قد نشاهد نحن واقفين على جانب . فاذا عجزنا عن المشاركة ، مهما كان السبب ، فاننا سنتملى بالمشاهدة . وعندما نشعر ان السهروردي لاينصفنا دائما ، ولاينصف نفسه . فهو احيانا يحلق كالصقر فوق القمة الشماء ، حيث يصعب اللحاق به ، ولكنه يرى وهو يعلو ويسف بتشائمه ، ويدور ويجول ويحلق

من جديد . وفي رؤيته متعـة كالمتعة المتأتيـة عـن مشاهدة ربان طائرة نفاثة تحلق فوق السحاب وتجتاز المسافات بسرعة اكثر مـن سرعة الصوت ، نخشـى عليه السقوط وهو يقوم بحركات في الفضاء الارحب حيث تقبض قلبك بيدك خشية علية ، وانت تعلم انه ابرع من ان يسقط . وهو يبدو وكأنه يتحدى قوانين الحركة الانسانية ، فتغبط ، وتسعد لانه يحقق مـا يستحيل عليك أنت تحقيقه .

غير ان السهروردي احيانا وعلى نحو متزايد ، يندس في متاهات ودروب وعرة شائكة ، ويغيب عنـا في كثافات تمنع عنا رؤيته ، ولايدلنا على استمـرار وجوده فيها الاصوت حركته ـ صوت غضبة الريـاح العاتية التي ركب زورقه في مهبها ، وتفح من حوله ، وصرخة منه تبدر بين آونة وأخرى ، تذكرنا بأنه مازال يتلفلف حيث لانؤمل له أولنا أي كشف أوتحقيـق . ونخشى عليه حينئذ غضب الطرق العاصفة . وعاصفة الخوف الأكبر في الشعر هو التكثيف اللفظي ، والغموض والايغال في التلويح والعمق اللاواضح ، الذي لايقنعنـا بأن هذه الاشكالات الشعرية والفكرية معا ، رمزية ، او حسية . انها تكثيفات أشبه بدرع حديـد يلبسهـا الفارس للقتال والطعان ، فيتعذر عليه المرح والرقص والغناء ، في اللحظة التي يريد فيها ان يرقص ويغني واذا كانت الألفاظ بدلا من ان تصبح ريشا في جنـاح الشاعر ، تتحول الى خيوط شرك يوقع بـه . هـذا التناقض واحد من تناقضات عدة نلمسها في فلسفـة السهروردي وشعره . وهي تناقضات حرية بالتقصي لانها جزء من عملية خلق فذة . بل انها امر لايمكن ان يتصف به الا الخيال الجائش المحترم الذي يحـاول الشاعر بوعيه وعدته ان يستنبطه ويستخرج اسراره فتقع التناقضات . ولعلها تقع عندما تعف صدامـة الوعي والكبح ، لسبب أو لاخر . والحدس ، وهـو هنا نشيط فاعل ملحاح ، قد لايفيد فيه أحيانا اعمال الوعي . واذا كنا في معرض التصوف . فقد يؤثـر الشاعر ان يسقطه من حسابه . ونحن في معظم اشعاره وفلسفته انما نطل على مواقف صوفيـة متلاحقـة تتخطى الوعي تخطيا بعيدا .

ان العدد الأكبر من القصائد يمتاز بنغمـه الأسى والنوعة ، والنزق الثوري على الحياة الواقعية تحت مطارق الظروف البائسة الخ .. وهـذه النظرة خط ينسحب على معظم افكاره واشعاره وفلسفته ، وكأنه يبحث عن المطلق في التسامي عبر مسحة من الكآبة في الحزن العميق ، والاسى البعيد الغور في اعمـاق الانسانية ، فان هذه الرؤية الصفة الطاغية ، الا في القليل النادر من قصائده وفلسفته . كمـا ان في كل رؤيا حلم ، والحلم والرؤيا يتصلان بالاشكال المرئيـة وكذلك الاصوات المسموعة فهي هنا كثيرة وزاخـرة اتصالا غير منطقي . قد يفرض الشاعر احيانا عليهـا معاني صريحة ، ولكنه نادرا مايرهق نفسه بجعلهـا متماسكة ، تاركا لنا البحث في خوافي هذه المرئيات فهي اذن تنتصب امامنا ، وتتحرك ، وتتفاعل تفاعـل الرموز . واذا عجزنا عن تحديد معنـى كل رمز علـى حدة ، عجزنا عن اكتناه المعاني المتحركة المتفاعلة . يديهي ان من طبيعة الرؤيا ان تكون غامضة ، ولغـزا الى حد بعيد وان أغلب المتصوفين مـن فلاسفـة كابن عربي ، والحلاج ، والغزالي ، والبصري ، وابـن سينا ، وابن الطفيل ، وابن رشد ، كانوا موغلين في الاشارات ، والتلويحات ، والرمز ، واحيانـا فـي الغموض . ولكن من البديهـي ايضا ان الـرؤى اذا استمرت على انغلاقها علينا ، مهما حاولنا التغلغـل في مطاويها وتلافيفها ، يتضاءل في النهاية مفعولهـا فينا : فالهزة الجمالية التي تعترينا في بعض غـوامض القول البديع ، لايمكن ان تلازمنا الى مالا نهاية . والصلة بيننا وبين القصائد ، اذا اعتمدت الهزة الجمالية وحدها وهي هزة والحيرة المستحبة ، لابـد ان تهن شيئـا فشيئا ونحن نتابع القراءة ، وأمامنا الكثير من اشعار السهروردي . وأغلب الظـن ان السهروردي كـان يعي ذلك ، ولعله يتقصده . ولذلك يبدو وان علينـا ان نعود الى اشعاره وفلسفته المشرقـة في اعمالـه « الحكمة الآلهية » و « هياكـل النور » ومتفرقـات متوزعة في معجم الأدباء لياقوت الحموي ، و« النجوم الزاهرة » لابن تغري بردى و « وفيات الاعيان » لأبـن خالكان ـ ونعرج على ـ دائرة المعارف الاسلاميـة ، للبستاني ، و « اخبار الحلاج » لـ ماسينيون ، لنرى استمرار القصيدة لديه فيمايقول . ونستنير بـ« محمد بن عبد الجبار النفري » المفكر الأصيل والجريء ، وهو من متصوفة القرن العاشر الميلادي في العراق ، وقـد استمرار القصيد لديه فيما يقول . ونستنير « محمد منهما عدد من المقاطع او الفقرات تلخص ، على نحـو مركز شعر الصور ، تعاليمه الصوفية كـان النفري يزعم الوحي والالهام من لدن الله . وـالوقفة ـ عنده تعني وضع الصوفي وهو في خطاب مباشر مـع

الذات العلوية ، ووضع كهذا ربما صاحبتـه القدرة على الكتابة التلقائية . و« الموقف » هو اقـرب الناس الى الله . ومن المحتمل ان شهاب الدين السهروردي قد تأثر بمحمد بن عبد الجبار النفري لانه ولد بـين ١١٥٠ ـ ١١٥٥ م ـ اي بعد قرن ونصف على حـد التقريب من مولد النفري وموته .. لذلك نـرى السهروردي تنطبق على فلسفته كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة وهي مقولة « للنفري » من كتابـه « التحولات » فهذه العبارة تصلـح كمنطلق لدراسة اشعار وفلسفة السهروردي ، لا لأن العبارة عنـد السهروردي ضيقة ، بمعنى الايجاز من ناحية ، وعجز الالفاظ عن الوفاء بحق الرؤية المتسعة من ناحيـة اخرى ، بل لأن الرؤية المتباينة اذ تتسع تعتمد عنـد السهروردي على عبارات ، وكلمات تضيـق وتقـل باستمرار . ففي الموقف السهروردي ، الذي يتسم بالجو النفري ، من حيث تعاليمه على مجرد المعرفة ، وصلته بالذات العلوية ، وامتلائه بالعبارات التلقائية نرى الكلمات تتكرر ، تتكرر فيها المعاني وهي المعانـي نفسها قد نحصرها في مئـة كلمـة فعـلا ، وتتلبس بالاقترانات والمعاني ، وغوامض الرموز ، ولكنها مـع هذا التكرار والتقاطـر تتكشف وتفقـد ديناميتهـا . والذي يحدث في النهاية هو ان « ضيـق العبارة » لا يتصل بالضرورة باتساع الرؤية . فالسهروردي عندما يفلح في التركيز والايجاز ، يذهل القارىء بقدرته على خلق الصورة الفسيحة ومايتصل بها من قوى روحية موحية بالسمو بالمعاني ويقول ياقـوت الحمـوي في معجم الادباء : وله شعر كثير ، اشهـره وأجـوده قصيدته الحائية : « ابدا تحن اليكم الأرواح » ، ومـن المؤسف ان لانعثر في اكثر كتـب الأدب والحكمـة والتصوف الا على هذه القصيدة ، وبعض مقطوعـات تصور بعض نزعاته الصوفية نثبتها فيما يلي :

ابـدا تحـن اليكم الارواح
ووصالكم ريحانها والراح(١)

وقلوب أهل ودادكم تشتاقـكم
والى لذيذ لقائـكم ترتاح

وارحمتـا للعاشقين تكلفوا
ستر المحبـة والهـوى فضاح

بالسـر ان باحوا تباح دماؤهم
وكذا دمـاء العاشقين تباح(٢)

واذا هـم كتمـوا تحدث عنهم
عنـد الوشاة المدمع السفاح(٣)

وبدت شـواهد للسقام عليهم
فيها لمشـكل امرهم ايضـاح

خفض الجناح لكم ، وليس عليكم
للصب في خفض الجناح جناح(٤)

«الحائية» قصيدة جميلة ، فيها الانسجام والتناغم والاحجية متشبعة الايحاء ، فضلا عن انها صور مرئية شفافة ، مقلقة ، ومثلها مقاطع كثيرة أ

يا صاح : ليس على المحب ملامة
ان لاح في أفق الوصـال صباح

لا ذنب للعشاق ان غلب الهـوى
كتمانهم فنمـا الغرام فباحـوا

سمحوا بأنفسهـم وما بخلوا بها
لما دروا أن السمـاح ربـاح

ودعاهم داعي الحقائـق دعـوة
فغدوا بها مستأنسين وراحـوا

---

١ ـ الوصال ضد القطعية والهجران . الراح الخمرة .

٢ ـ جاءت كلمة « البائحين » في بعض النسخ بدلا من عاشقين

٣ـ جاءت كلمة « السماح » في بعض النسخ بدلا من « السفـاح »

٤ ـ خفض الجناح : لين الجناح . ويمكن ضبط هاتين الكلمتين على انهما فعل ومفعول به .
والجناح بضم الجيم : الاثم .

ركبوا على سنن الوفاء دموعهم
بحر وحادي شوقهم ملاح
والله ما طلبوا الوقوف ببابه
حتى دعوا واتاهم المفتاح
لا يطربون لغير ذكر حبيبهم
ابدا فكل زمانهم افراح
حضروا ، فغابوا عن شهودذواتهم
وتهتكوا لما راوه وصاحوا
افناهم عنهم وقد كشفت لهم
حجب البقاء فتلاشت الارواح

أو في هذه الابيات التي يتحدث بها عن النفس، وقد جارى ابن سينا في عينته الشهورة :

هبطت اليك من المحل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع

ومن المؤسف حقا ان لا نظفر من قصيدة السهروردي الا على هذه الابيات :

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى
وصبت لمغناها القديم تشوقا

وتلفتت نحو الديار فشاقها
ربع عفت اطلاله فتمزقا

وقفت تسائله فرد جوابها
رجع الصدى ان لا سبيل الى اللقا

فكانما برق تألق بالحمى
ثم انطوى فكأنه ما ابرقا

اكبر الظن اني لست في حاجة الى اسلوب التصوير الى جانب اسلوب التحليل ، ولست في احتياج الى بيان أثر شعر السهروردي في النفس ولاسيما اذا ما سجى الليل واخذ الكرى بمعاقد الاجفان . واخذ موكب الرؤى والاحلام والكشف السماوي يخب في وادي الخيال والتخيل خبأ ، وانسكبت أضواء الروحانية الباهرة الزاهرة ، وانصبت اضواؤها اشعة شاعرة ساحرة على الرمال الشقراء فترق حصباؤها كأنها الدراري ، وتلمع رمالها كأنها حثالة العسجد او نثار التبر ، والسهروردي وحده هائم في العشق الآلهي تحت جنح الليل يستلهم بتأمل شفاف رائق الملكوت الا على الذي يبدو له وفي محفته ، وعلى عرشه في قبة السماء وفي سدرة المنتهى ، ويستلهم النور الذي يشع في نفسه فتنة وروعة واغراء ، ويقف سابحا على اجنحة تلك الامواج النورانية الجارفة مواكب النور والاشراق ، وتتراءى لعينيه مواكب النور والاشراق ، وتتراءى لعينيه اطياف العشق السر مدى فيعاوده الحنين ويلتاعه الجوي . اكبر الظن اني لست في حاجة الى هذا الاسلوب الذي لانفهم شعر السهروردي الصوفي الا بمثله اذ لا بد للناقد ان يحس كما الشاعر يحس ويتصور ، بل يحاول على الاقل ان يعيش في اجواء شعره ولو لحظة قصيرة في قطاع من الزمان المهتوك الحجب بين الحسن والرؤى ، والتصور الروحي فليتذوق الناقد مايتذوقه ولاطرح عن نفسي هذه المهام ، واؤكد لو اني لجأت الى التعليق على كل بيت او قصيدة من قصائد السهروردي لكتبت مجلدا ، واؤكد اني لو لجأت الى التعليق والايغال الدقيق على فلسفة السهروردي لما انتهيت من الكتابة طوال عمري ، ويكفي ان نعلق على شخصيته في نبذة شاملة عابرة صغيرة ، ومن شعره الذي يصور فيه وحدته وعزمه على الرحيل قوله :

اقول لجارتي والدمع جاري
ولي عزم الرحيل عن الديار

ذريني ان اسير ولا تنوحي
فان الشهب اشرفها السواري

واني في الظلام رايت ضوءا
كأن الليل بدل بالنهار

الى كم اجعل الحيات صحبي
الى كم اجعل التنين جاري

وارضى بالاقامة في فلاة
وفي ظلم العناصر اين داري

ويبدو لي من الزوراء برق
يذكرني بها قرب المزار

اذا ابصرت ذاك النور افنى
فما أدري يميني من يساري

غير ان السهروردي بقدر مايستطيع هذا التركيز

والايجاز ، فانه يتورط في الاسهاب والاطناب . كثير من اشعاره ،اومقاطع منها ، على قصرها ، اطناب ،لانه محاولة مكرورة لتصور الشيء نفسه ، لاثارة الرؤية نفسها ، حتى لتكاد نشعر انه لايفرغ من القول حول صورة او فكرة معينة ، ولن يفرغ ، لانه سيعود اليها وسيدور حولها مرة بعد مرة ، وبدلا من ان تتسع الرؤية عندئذ ، تضيق فنتسأل : ما هي التجربة الجديدة في الحب الالهي ،والصوفي معا ، التي يريد الشاعر نقلها بالضبط ؟ .. والتكرار غير مقصور على الرؤية نفسها ، فاننا نجده في الالفاظ ايضا كم مرة تتكرر صورة الحب ، والجوى ، والشوق ،والترقب والحنين للالتصاق ،تكاد تجدها في كل همسة من همسات اشعاره . والصورة في التصوير الشعري عنده بالتكرار المدروس قد تشتد عمقا ، ولكنها ايضا قد يتهرا معناها ، الى ان يصل الى الانعدام في اجترار التخيل الذي يدور في حلقة واحدة مفرغة ،او غير مفرغة ، فتصبح الكلمة في القصيدة ـ متكئا ـ لا ـ منطلقا ـ تعثرا على القارىء فتعيقه ، بدلا من ان تدفعه تدفقات ابداعية الى شيء لاحق. ومثل صور الحب ، والمنجاة الى الوصال ، بالحبيب الاعلى ومشتقاتها التي يترددها تصبح اشبه بقطع نقدية محدودة يعتمد عليها صاحبها في ـ معاملاته ـ الشعرية كثيرا ما تكون الصور عدة لشعر رائع ، لانها موسيقى صور ، وسحر ملامح ، تجمع بين التجسد والحركة ، وهي غنية بالقرائن الذهنية ، والعاطفية ، والروحية بل انها ، اذا استطعنا عزلها وتناسينا اننا مررنا بها من قبل ، وانها ستقبل علينا من بعد ، تفعل فعلها الغريب في انفسنا . وهي تتواثب نضارة وتحليقا وتحقق سحرها عندما يكون الشاعر قد استوعبها اخيرا في ادراكه استيعابا تاما ، كما يفعل في قصيدة « الحائية » في مقطعها الطويل ، هذه القصيدة اشبه بقصيدة « الصقر » في كتاب « التحولات » «للنفري» درة ثمينة تجد فيها « السهروردي » بتجربته الصوفية ، التي يوزع بين تضاعيف القصيدة كلها ، تعبيرها الاروع والاتم ، وهي تمثل تقريبا ارهاصاته الصوفية في الحب الآلهي ، وفي هذه الارهاصات نجد اللب الدسم الحي اللاعج مستقرا بين التهاويل ، والتلويح ، المدومة حوله ، حتى لندهش كيف ان الشاعر لم يقصص الزوائد المعادة ، حفاظا على هذا الوهج الاهم . ولهذا فاننا اذ نستقصي تجربة الشاعر ونتحمل اصراره على تكرار الصور ، وترديد الالفاز ، نبلغ مثلا القصيدة المعنونة « العصفور والقفص » قالها وهو في اللحظات الاخيرة من ايام حياته

قل لاصحاب رأوني ميتا
فبكوني اذ رأوني حزنا

لا تظنوني بأني ميت
ليس ذا الميت والله أنا

انا عصفور وهذا قفصي
طرت منه فتخلى رهنا

وانا اليوم أناجي ملأ
وارى الله عيانا بهنا

فاخلعوا الانفس عن اجسادها
فترون الحق حقا بينا

لا ترعكم سكرة الموت فما
هي الا كانتقال من هنا

عنصر الارواح فينا واحد
وكذا الاجسام جسم عمنا

ما أرى نفسي الا أنتم
واعتقادي انكم انتم انا

فارحموني ترحموا انفسكم
واعلموا انكم في اثرنا

من رآني فليقو نفسه
انما الدنيا على قرن الفنا

وعليكم من كلامي جملة
فسلام الله مدح وثنا

وهنا ندرك المعنى العميق بالكناية والتشبيه والاستعارة ، وكما ندرك العمق الصوفي .. ندرك فكر هذا الشاعر ، وما يدور في ثنايا روحه ووجدانه من شفافية في التأمل والنضوج في اطار صوفي خلاب وخلاق ، وبعد مسيرة ثمانية قرون تقريبا نرى المفكر « اندريه موروا » يصب هذه الفلسفة حول انطلاق

الروح من سجنها الجسدي المادي نحو ملكوت العلي الاكثر نقاء وسمرا في قصته « وازن الارواح » . . نجد التأثر الواضح بفلسفة السهروردي حـول المادية ، والروحية في تكوين الانسان .

وفلسفة هذا الشاعر الصوفي الوحيدة تقريبا بعد « النفري » التي يستجد فيها معنى وبريق ارتقـاء الجانب الروحي للانسان ، وهي غنية جدا في صورها وملامحها ، جميلة لانها تفاجيء القارىء بايغالهـا وبراعة تأملاتها ، واستشفاف معاني الخلود في العالم العلوي ، اما الالفاظ الاخرى بمعانيها ، فهي لا تخلو من التكرار ، حيث تسقط عنها طاقة الايحـاء .

ولكننا نرى في هذا الفيلسوف التجديد والابتكار لمن سبقوه ، ابتكار قلق يضم هاجسا يحض الشموس العلوية وابعادها المشرقة في عالم النفحات الروحيـة الساحرة ، وهو يقول ايضا انه قد قتل الجسـد بأدرانه منذ نشوئه ، ومزج تركيبه بالشموس ايضا ، فهي فلسفة اذن ليست قائمة اذا احل نفسه مكانها ولم يبق منها هذا الشيء الخبيء في اغـوار النفس السحيقة ، هذا الشيء الخاص المستمتع بذاتـه ، وقد استطاع مزجه بالابعاد للانهايات ، عالم الرؤى والسواطع التي هي جزء من بحران صوفية الميـول والنزعة .

المقطع الاول هو البحث عن الخلاص من عالم مادي مليء بالصراعات نحو المطامع الزائلة في عالم متبـدل متغير باستمرار ، والفناء نتيجة محتمة له ، والمقطع الثاني من فلسفته ، التناقض والتنافر بين الماديـة والروحية في الاشكال والاشياء ، وتلك هي محنـة الشخصيات الصوفية في تأملاتها ، وملامحهـا ، وتفكيرها ، خط ينسحب على حياتها . تفكيـر يدور في محور مقلق تتحمخض عنه تلك الشطحات الرائقـة الشفافة الرائعة في كل آن . طبعا هي اجدى أن تتكتم فلسفة المتصوفين تلك الخضخضة وتعطينا الزبـدة الاخيرة . والزبدة في هذه الفلسفة بالذات مهمة ، لانها استطاعت ان تخلص بصورها الحقيقة في خلق حـدث معين . يفتح لنا ابوابا أخرى من الادراك . السهروردي استطاع وبشكل جيد وصريح ان يمزج اقترانات الرمز ستار ورؤية ، اسطورة شذى واعتراف ، زهـرة مزجا شديد الايحاء سطحا وعمقا ، حقيقـة وخيالا ، تجربة حسية خارجية ، وتجربة نفسية وروحيـة باطنية . وبين هـذه الاوجـه ـ تركيـب ـ فلسفي ـ شعري خاص . والتثبت بالعالم العلوي من خـلال الزهد في العالم السفلي ، طريقة لست سهلـة لطـرح ذات الشاعر الصوفي على نفسه ، وعلينا من الرؤيـة المطلقة على نفسها ، يستمد الشاعر قـوة الرؤيـة الممتدة امتداد الكون من عالمه الخاص ، والعام معـا ولكن الماثل امامنا في هذه الرؤية هو الشاعر نفسه . فالشاعر يفصل عشقه ومأساته ، موته ، وحياته ، تفصيلا ذاتيا على مسرح يزعم انـه مسرح الابعـاد الكونية الاخرى ولكننا نعلم ان عالمنـا الارضي هذا . وهو يريد اطلاق ذاته عن ذاتها ، وذلك بفصل الـذات عن الزمان والمكان المحسوس ، فالزمن ، بعد ان بلـغ حدا لا يستطيع الانسان كسر طوقه والشيب عنـه ، او من فوقه ، يريد السهروردي دائمـا تعذيـب نفسه بكسره والتحرر منه . وهنا في « تشككه » ندرك القلق في شخصيته المأرجحة تارة نحو العلى ، وتارة اخـرى نحو الدنى :

فز بالنعيـــم فان عمـرك ينفد
وتغنـم الدنيـــا فليس مخلد

واذا ظفرت بـلذة فانهض لهـا
لا يمنعنك عـن هـواك مفنـــد

وصل الصبوح مع الغبوق فانمـا
دنيـاك يـوم واحـد يتردد

وعدوك تشرب في الجنان مدامة
ولتندمن اذا أتـاك الموعـد

اذن فالذات هي اللحظة المطلقة ، لحظـة الفارس والعاشق ، والشاعر ، والمخلص المرتقب ، الـذي لاتحده الازمان مهما تشرد ، أو اسر او قتل . فاللحظة الذاتية هي لحظة لازمنية ، لحظة انفلات مـن قيـد التسلسل ، والزمن الأعجف ، والزمـن المعقـول واللامعقول ، واتحد في الكون واستشبه الوجود كلـه وهو متمثل في الذات الحقيقية الواحـدة في آن واحد الجزء مع الكل ، والكل مع الجزء ، انها صورة تمثـل المأساة والفجيعة ، وهي في نفس الوقت حقيقة المأساة والفجيعة ، وهي تمثل الموت والحياة ، وهي سر الموت والحياة . انها الذات وقد تضخمت بالشوة الصوفية

وغدت الكون باسره ، لقد اتصلت في وقفتها بالذات الالهية ، وتوحدت فيها . وكان السهروردي يدلل بذلك ــ وقال لي : النعيم كله لا يعرفني ، والعذاب كله يعرفني . وقال لي : معناك اقوى من السماء والارض .. ان الذات لتتأمل نفسها وتتخذ مصغرا للدنيا مسرحا لها . فالانا الذاتية مسرحها مأساوي ، واللهجة لهجة نبوءه ، أوما القوم مقامها طاغية طغيانها في كلام الانبياء ، مع غضب ، وحب ، واعجاب بالنفس وتحقير لها ، وتأرجح عنيف بين الموت ، وماوراءه ، وماقدامه . والنبي تقليديا لابد ان يتحدث عن رؤيا وعن ضرب من معراج . ورغم معظم فلسفة السهروردي كما أشارنا ، رؤى متواترة سواء ادعيت بالاستشفاف او النزوع الى تعذيب الذات للارتقاء بها الى السمو فان تجربة السهروردي هذه تتمثل في رؤيا من الطرز الديني العريق ما كان محدودا في زمن ، او عصر او شخص ، ولكن شخص هذا الصوفي لهو القدرة التناقضية الهائلة على الباس الصور والرموز السلفية . هذه الرؤيا هي سمة الغزالي ايضا ، على عمقه العقلاني والفلسفي ، وهو من اعظم الفلاسفة الصوفيين الذين استطاعوا ان يتخطوا العقل والفلسفة الى الايمان .. ايمان يتأتى عن الحدس الصوفي او الديني الخارق . فالتعاطف بينه وبين السهروردي مباشر وحقيقي ، وليس من الصعب ان نرى هذا كله استمرار السهرودي بنزعته التي كانت اشد وضوحا ومباشرة في كثير من اشعاره المسطورة ، صور اميل الى التفاؤل وترقب الانبعاث ، في حين ان نفسه الاسلامي يوحي في اغلب الاحيان الى الغضب ، ونفاذ الصبر واليأس ، ويتمخض في ولادة اشراقية مهيبة الملامح مجلة في شخصها الشفاف . فلنسمعه ينشد حلاوة الوصال والظفر به

تصرمت وحشة الليالي
واقبلت دولة الوصال

وصار بالوصل لي حسودا
من كان في هجركم رثى لي

وحقكم بعد ان حصلتم
بكل ما فات لا أبالي

احييتموني وكنت ميتا
وبعتموني بغير غالي

الى ان يصل في القصيدة :

تشربت اعظمي هواكم
فما لغير الهوى وما لي

فما على عادم اجاجا
وعنده أعين الزلال

نجد النزعة الى خلق الصور بحرية تلقائية تقارب التجريدية في اغلب الاحيان ، وهي حرية الموقف الصوفي الذي يتخطى العقل والمنطق في محاولة منه منحنا ماهو ربما اعمق واروع .

أشم منك نسيما لست اعرفه
اظن لمياء جرت فيك اذيالا

وقوله :

ان تأملتكم فكلي عيون
او تذكرتكم فكلي قلوب

وتجد في الوقت نفسه ، على نقيض من ذلك ، محاولة فكرية واعية يفرضها الشاعر الصوفي مسبقا اولا حقا على نفسه وحسه البدهي فرضا عنيفا . فيجند لمحاولته اشارات ورموز وايحاءات هي بعض لغة السمة الصوفية في كل عصر على مر الزمن . ولقد نجح نجاحا باهرا اذ يطلعنا على ذاتيته الهائلة محاولا تحطيم رقم فلسفة الاشراق لمن سبقوه ولمن سيأتي بعده بأجمعها ، لكي نرى الوجود والتاريخ بل الخلجات الانسانية كاملة من خلال تأملاته واشراقاته وفلسفته لقد اصبح السهروردي امام الحقيقة المطلقة وجها الوجه . وعلى الفلسفة الصوفية ان تنتبه له بشدة وحذر شديد ، وتقوم بعض أعوجاجها برؤيته ، ولكننا نفاجيء بمغالاته التي تقلب القوم من علماء ، والدس عليه .. حتى انتهت حياته بمأساة مروعة . وأول خيوط المأساة بدأت تحاك وتنسج عندما وصل مدينة حلب ، ونزل بالمدرسة الحلوية ، واخذ يحضر كتلميذ متواضع دروس شيخها الشريف افتخار الدين ، يريد ان يقبس من شيخ حلب انوار العلم ومصباح الهداية بعد ان جاب أرض الدنيا الواسعة ، ومرت الايام فشعر انه لم يفد شيئا .. وبدا حياة المناظرة

والجدل مع استاذه ومع فقهاء حلب حيث كونوا عنه فكرة سيئة ، وبدات افكاره وآراءه واقواله تنفذ الى البيئات العلمية في المدارس والجوامع والمنتديات كالنار في الهشيم ، فأصبح له شأنه وصار لهمريدين احبه أناس وكرهه اخرون ،شأنه فيذلك شأن كل ذوي المواهب الفذة الذين لايكادون يظهرون حتى تتألب عليهم عناصر الجهل والغباء ، حتى والانانية ، تتكالب على اطفاء نورهم ووادهم ، حتى اخذ الفقهاء يتقولون عليه اشياء لم يقلها ،وينسبون اليه آراء لم يفه بها .. واستطاعوا اخيرا ان يثيروا عليه نقمة الراي العام ، وخاصة عندما ناظرهم في عدة مسائل فلم يثبت لهأحدمنهم وتربع عليهماجمعين عدا شيخه المفضال شيخ المدرسة الحلوية الذي ظهر فضله وقربه مجلسه وأدناه . وقد زاده هذا التقريب من الشيخ بغضا وضغينة من خصومه الذين اخذوا يقاليون علمه جهلا وهديه ضلالا ،ويقينه شكا ، وايمانه كفرا ،وتصوفهشعوذه وفلسفتههرطقة وكل حسناته سيئات !! .

حتى تقرب من الملك الظاهر ،ودارت الاحاديث حول الضجة القائمة حوله ، فما كاد السهروردي يفيض بالحديث ، حتى لمح فيه سمو الحكمة واشراق الذهن .. وتبين للملك الظاهر البون الشاسع بين عقلية علماء المملكة وعقلية السهروردي المتحررة من كل قيد .. فقربه الملك اليه حتى اصبح من خلصائه .. ولكن هذا العطف السامي زاد قلوب العلماء حقدا عليه ، وبداوا يشنون الحملة تلو الحملة عليه ، رموه بكل نقيصة ، كمارموهبالزندقة والالحاد وكان العلماء في واد ، والسهروردي في واد . انه جاء مدينة حلب ليتابع رسالته الاشراقية ، ليكتب مااختزنه صدره من آراء واتجاهات ، ليبدع في الفلسفة الاسلامية اصدق النظريات وبعد ..ليتابع رحلاته الى مختلف عواصم الدنيا ــ في الشرق والغرب يقف على مدى تطور الفكر ويستزيد علما ومعرفة ، شأنه في ذلك شأن الافذاذ من الذين لايروى نهمهم من علم ... ان صدره ممتلىء بالآمال الجسام ..لقد وعى فلسفة الأغريق وفلسفة الهند ، وفارس ، والفلسفة الاسلامية على مختلف صورها .. وهو يريد ان يبدع ، من هذا المزيج ، فلسفة جديدة رسم خطوطها الواضحة في فلسفته الاشراقية .. انه بلغ هذه المرتبة العلمية وهو في الثلاثين من عمره.. فماذا يكون شأنه حين يبلغ الستين مثلا ؟!..

انه في موسوعية علمه ،ونقاء سريرته واستشفاف روحه ونفسه قد وصل في الفلسفة الصوفية من السلم اعلى مراتبه ، وجلس على عرش العبقرية ،وامسك بصولجانها بجدارة وعلم ومعرفة ، وهذا ماأوغر صدر العلماء في مدينة حلب ..لانهم لايجاروه، ولايستطيعون السير في ركبه الذي سبق زمانهم مئات السنين .. هذا الانتصار قدمس مركزهم في المجتمع ولدى الملك ايضا ، وعند الدهماء بصورة خاصة .

فكيف يسكتون عنه ؟!.. وهو الذي افلسهم !!.. وفي نهاية المطاف الفوا وفدا لمقابلة الملك الظاهر .. وجروا معهم جمهورا كثيفا من الدهماء للتأثير فيه.. وقد استمع اليهم بصدر رحب واخذ يناقشهم بهدوء ورفق فذهبت محاولتهم عبثا لاغناء فيه..فطلبوا من الملك ان يصدر امره بهدر دمه ، فهاله الطلبوروعه.. كيف يهدر دم عالم صوفي شاب راى فيه انسانا اشرب قلبه بحب الله ، وصوفيا بلغ مرتبة كبار المتصوفين ، وقد سمع منه آيات بلغت رشدها في السمو والاشراق ؟!..

لقد هال على الملك ان يصبح الفكر المشرق هزاةبيد انصاف العلماء .. فردهم من حيث أتوا ، ولم يلتفت الى هذه الارهاصات التي تعطل حرية الفكر وحيوية الانتاج والابداع ، فضاق صدر العلماء والفقهاء بذلك فلجؤا الى ابيه صلاح الدين يستفزون عاطفتهالدينية وسيرة صلاح الدين مشهورة بالورع والتقى،وببغضه كتب الفلاسفة وارباب المنطق،وقداوهموا بهانصحبة ابنه الظاهر للسهروردي ستكون مدعاة لفسادعقيدته وعقائد الناس،وزادوا في التهويل حين ضمنوارسالتهم العبارة الآتية ادرك ولدك والاتتلف عقيدته فما كان من صلاح الدين الا ان كتب رسالة لولده يأمره فيها بنفي السهروردي وابعاده . لكن الملك الظاهر ،وهو عليم بسر هذه المأساة التي اجادوا حبك نسيجها ، لم ينفذ امر ابيه . فثار اللغط منجديد ، وضج العلماء وانقسم الناس الى قسمين : قسم معه وقسم عليه. قال القاضي ابن شداد :

اقمت في حلب فرايت اهلها مختلفين فيه ،منهم من يصدقه ، ومنهم من يزندقه والله اعلم !! ومن جديد ثار العلماء مطالبين بهدر دم السهروردي وان ينفذ الملك الظاهر امر ابيه ، وفي النهاية قد احرجوه ورأى ان خير طريقة للخروج من هذا الالحاح ان يعقد

مجلسا للمناظرة وثقته عمياء في انتصار السهروردي عليهم . وكتب الظاهر في ذلك الى ابيه صلاح الدين وافق صلاح الدين على هذا الاقتراح خشية من مغبة الظالم لاحد الطرفين المتنازعين . وذاع الخبر في المدينة بكل مكان . وانعقد المجلس ، واحتشد العلماء واخذت الاسئلة تنصب عليه من كل جانب وصوب ، وكان يجيب عليها بهدوء واتزان ، ويدعم اجوبته بالبراهين والحجج ـ براهين اصحاب المنطق وحجج الفلاسفة الروحانيين والمتصوفين الذين يستمدون قواهم من روح الله .

ولم تكن حججه مستمدة من الفلاسفة الاسلاميين فحسب ، بل من صميم الدين . ومع ذلك فقد اعتبروا حججه سفسطة .. فمزج العلوم الشرعية بالمنطق من البدع والمنكرات ـ بهذا المنطق التعسفي الجائر كانوا يجادلونه ـ حتى قالوا له « انك قلت في بعض تصانيفك ان الله قادر على ان يخلق نبيا .. وهذا مستحيل » قال : « وما وجه الاستحالة في ذلك ؟. فان الله القادر هو الذي لا يمتنع عليه شيء » فلم يفرق لسائليه بين الممكن في حد ذاته ، والممكن الذي اخبر القرآن بأنه لم يقع . ولم يتركوه يدلي برايه فوقفوا عند هذا الجواب وحكموا عليه بالكفر وجردوه من الايمان واتهموه بانحلال العقيدة والتعطيل وسرعان ما نظموا وثيقة كفره واذاعوها على الناس وهي تفتي بهدر دمه .

اين هذه الوثيقة ؟!. ان جميع من ارخ للملك الظاهر والسهروردي لم يوردوا نصها ، واكتفوا جميعهم بالالماع اليها . وهكذا نجحت المؤامرة . ورمي السهروردي بالكفر والتعطيل وحكم عليه بالموت .

وقد تأثر الملك الظاهر لهذه النهاية . حاول ان يصونه من دسائس الفقهاء وان يحميه من مؤامراتهم ولكن محاولته ذهبت بددا . وشاءت إرادة الله ان يكون مصرع هذا الحكيم على يد من اصطفاه وفضله على الكثيرين !!.

ولكن كيف ينفذ الحكم ؟

يخيل الينا ان الملك الظاهر طلب من صديقه الفيلسوف ان يختار ميتته ، فطلب ان يحبس في مكان ما ، ويمتنع عن الطعام والشراب الى ان يموت .. وكأنما اراد السهروردي ان يمتحن نفسه، وان يحقق نزعاته الصوفية بهذه الميتة التي ارادها له المتنطعون .. فحياة الصوفيين لون من العذاب ، او هي الفناء في سبيل الحقيقة العليا . وليس احب الى نفسه من ان يمتنع عن الطعام والشراب تماما .. وان يعيش زاهدا متقشفا إلى ان يلقى ربه .

لقد اختلفت الروايات في مصرعه ومأساته التي تفطر القلوب .

في احدى الروايات : « ان الملك الظاهر سجنه ثم خنقه في سجنه بقلعة حلب » .

وفي رواية اخرى أ « ان السلطان امر بقتله وصلبه اياما » .

وعن سبط بن الجوزي في تاريخه عن ابن شداد انه قال : « لما كان يوم الجمعة ، بعد الصلاة في العاشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة اخرج الشهاب السهروردي ميتا من الحبس بحلب فتفرق له اصحابه .

وروي بعض معاصريه انه حين علم بصدور الحكم بقتله اخذ ينشد :

أرى قدمي اراق دمي
وهان دمي فهان ندمي !

نعم ، تفرقوا عنه وقبعوا في دورهم ينكرون هذا الطغيان الذي مس حرية الفكر . وقد تأثر الملك الظاهر وندم على فعلته .. وحقد كثيرا على من جروه الى هذا المأزق الحرج الذي اودى بحياة هذا الفيلسوف الحكيم الذي تجرد عن الدنيويات، وكتب في عهد شبابه اصفى التأملات .

ولكن ماذا يفيد الندم وقد شرب هذا الحكيم كؤوس المؤامرة حتى الموت وهو في رعاية من رعاه وفرض حمايته عليه ؟!. يقول المؤرخون :

« انه نقم على جميع مـــن افتوا بقتله ، فقبض عليهم ونكبهم وصادر جماعة منهم بأموال عظيمة ». فهل رضي بفعلته هذه انصار السهروردي ومريدوه؟ ربما .. ولكن هيهات ان يكون قد انتقم للفكر بعمله هذا ، وستظل ميتة السهروردي ومصرعه لطخـــة عار سوداء في تاريخ الظاهر الايوبي برغم ما امتاز به حكمه من حسنات . وبعد موته كتب على قبـــره ،

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة
مكنونة قد براها الله من شرف

فلم تكن تعرف الايام قيمتـــه
فردها غيرة منـــه الى الصـــدف

صرع وهو في السادسة والثلاثين من عمره في هذه الفترة القصيرة قد استطاع ان يحفر مجرى طويـــلا في حياة العقل البشري على مدى مسيرته والى الابد. وقبره اليوم معروف ، وهو بلصق مركزا لشرطة قسم « باب الفرج » احد احياء مدينة حلب. وذكراه في هذه المدينة لا يزال متصلا وان حرفت العامـــة اسمه وقالت : بوابة « الساري وردي » بدل بوابة السهروردي .

حلب ٢٠-١-١٩٨١ **الدكتور محمد جبر**

المراجـع :

السهروردي ـ في الحكمة الالهية
السهروردي ـ هياكل النور
ياقوت الحموي ـ معجم الادباء
ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة
ابن خالكان ـ وفيات الاعيان
ماسينيون ـ اخبار الحلاج
عبد الرحمن بدوي ـ شخصيات قلقة في الاسلام

سعيد الجزائري

دمعة وذكرى

يقلم : حامد حسن

مات سعيد الجزائري !!

قراتها .. قرأت هذه الجملة فانهلت دمعتان ، وانهالت ذكريات .

في مقهى البرازيل ، رجل اشيب الراس، وسيم الملامح ، سريع الالتفاتة يتصدر مجموعة من العاملين في حقل الحرف الاخضر ، قدمني اليه الاستاذ مدحة عكاش ، وقدمه قائلا : الاستاذ سعيد بك الجزائري.

كان ذلك في منتصف الخمسينات ..

وقال سعيد بك ـ وهذا اللقب كان لصيقا به لا يفارقه ـ مذ : قرات لك في الصباح، في المكشوف ، في الثقافة .. في .. في ..

وتملكتني الدهشة عندما اخذ يذكر عنوان القصائد كأنه يقرا في كتاب .. ماذا ؟ هل هذا الانسان يتعقبني ؟ يرصد حركاتي ؟؟ يراقب اقوالي ؟؟ هل أوكل اليه هذا الامر ؟؟ ذلك ما ناجيت به نفسي !!

راقبته .. يطرح القضايا الادبية ، والفكرية ، والسياسية غير متحرج ، وغير متحفظ ، شأن الرجل الواثق بنفسه ، والمطمئن الى ما يقول .

يعب القهوة بنهم وعصبية ، يدخن كثيرا، يرسل نكاتا الاذعة يخفف من وقعها الموجع ما يرافقها من مرحه وابتساماته .

وافترقنا على موعد !!

والتقينا .. وطلب مني شيئا للنقاد ، وكان يراس تحريرها . وفوجئت بعد ايام بنشر قصيدتي « الحقيقة والحياة » افتتاحية في « النقاد » .

وعرفني على الاذاعة ، وادخلني الاستديو لاول مرة لاسجل بعض القصائد ، وجلس يراقب ، ويرصد اللفظة والنبرة . والاداء ، حرصا على الاجادة، واعاد التسجيل اكثر من مرة حتى استقام له ما يريد.

وذات يوم اغتصب لي وقتا من الاذاعة لم يكن من حقي ان اشغله . ولم اكد الج باب الاستديو حتى جاء رجل من رجال الدين ليسجل حديثا في وقته المحدد .. ولما راى ان وقته اعطي لغيره غضب وثار، وعلا صوته ، ولكن لم تكن الا همسة . مجرد همسة من احد الموظفين حتى هدات ثائرة الرجل واستكان .. ولم تكن تلك الهمسة الا قول الموظف انها ارادة سعيد بك ، ثم اقبل الرجل على سعيد بك يحرق كلماته اعتذارا !!

وقرفني على العديد من اصحابه ،وفي طليعتهم نزار قباني ، والدكتور عبد السلام العجيلي ،وفوزي امين وغيرهم .

ويوما أخذ بيدي وبيد الشاعر نزار قباني،وذهبنا الى الاذاعة ليسمعنا ما سجله واذاعه عنا .. وفي العودة عرج بنا على « ابي معروف » وعرفنا على شلة « النواسيين » وفيهم البائع ، والعاصر ، والشارب ، والساقي .

وقامت الوحدة بين مصر وسورية ، وهللنا للجمهورية العربية المتحدة ، وهتفنا لعبد الناصر ، محطم عرش فاروق ، ومحرر القنال ، وبطل التحدي.

كان سعيد بك متحفظا امام هذا الحدث الكبير الخطير في حياة العرب ، وتاريخهم الحديث .

كان متحفظا من الاسلوب الذي تمت به الوحدة، من العجلة ، من بعض الاشخاص . كان يخشى على التجربة من الفشل والاخفاق . لم يكن منساقا مع هذه العواطف المندفعة بعفوية تنقصها العقلانية .

وتتابعت لقاءاتنا ... في حديقة العائلات ، في دمر ، في النادي السرياني ، في منتدى سكينة، وحيثما حل سعيد بك انعقدت ندوة الشعر والادب والسياسة في جو من المرح والظرف والكياسة .

يشرب سعيد كثيرا ولكن لم تذهب الخمرة بعقله ، بل تزيده مرحا ، ودعابة ، وطلاقة لسان ، وحدة ذهن ، وعذوبة نكتة ، وسرعة خاطر ، وحضور بديهة .

ويدخن اكثر وقد بدأ يشكو «خناقا صدريا» حادا.
ويسهر اكثر واكثر ، ويلوح ذلك من الهالة الحمراء التي تحيط بمقلتيه ، ومن الانتفاخ البارز في جفونهما .

ودخلت مشفى الجامعة لاجراء عملية جراحية ، وتمادى المرض وطالت مدته ، ولكني لم اشعر بالملل، ولا بالالم . ولا بالانقطاع عن الاهل ، لان سعيد بك يأتي في اكثر الايام لزيارتي ، وغالبا ما يصحب معه الشاعر عبد المطلب الامين والموسيقار محمد عبدالكريم أمير « البزق » . وتغلق الغرفة ، وتقهقه زجاجات الخمر ، ويدندن البزق اشجى الانغام ، ويسود جو من المرح والادب والشعر .

ودق جرس الهاتف في غرفتي في مشفى الجامعة وقال المتكلم : أنا سعيد ، عليك ان تجهز قصيدة لعيد الوحدة . وحاولت الاعتذار محتجا بالمرض فلم يقبل اي اعتذار .. وشرعت بالكتابة .

وفي اليوم التالي اقتحم غرفتي موظفو الاذاعة يحملون آلات التسجيل ، ويقودهم سعيد بك . وابى الاطباء بلطف ، وطرد الممرضات ، وهيأ الجو الهادئ وتم التسجيل .

وجاءني بعد مدة يحمل كتابا من الرئيس عبد الناصر ، وكان مرسلا بواسطة الاذاعة ، ويتضمن ثناء على القصيدة وشكرا ، ويدعو الى بذل الجهد لحماية الجمهورية العربية المتحدة لتحقيق وحدة العرب الكبرى .

وأقيم مهرجان « البحتري » على مسرح معرض دمشق ، وعلى مستوى البلاد العربية ، وخلال الاجتماعات التمهيدية للمهرجان ظهرت بوادر التنافس الادبي بين وفدي مصر وسورية ، ولكن بشكل نكات وتعليقات وقاد سعيد الحملة السورية وتصدى له الدكتور غنيم ، والعوضي الوكيل، والشاعر روحية القليني ، وصالح جودت .

وتطور التنافس الى مجابهة عندما قال الدكتور غنيم : ان شعراء العرب يقفون عاجزين امام معجز شوقي في بيته القائل :

نظرة ، فابتسامة ، فسلام فكلام ، فموعد ، فلقاء

وعقب عليه : هذه قصة تامة ذات فصول ستة ، وكل فصل مؤلف من كلمة واحدة ، ثم هي مرتبطة بالفاء ، والفاء للترتيب مع التعقيب كما قرر النحاة .

وضاق سعيد ذرعا بهذه المباهاة وهذا التحدي فقال لنا

بيت شوقي هذا يصور صاحبه شبقا مغتلما مستعجلا ، ويظهر صاحبته رخيصة مبتذلة . كل شيء بينهما تم بسرعة تنكرها اخلاق العاشقين ثم ان شوقي لم يشرك في بيته الا حاستين من الحواس الخمس وهما العين والشفتين .

وهنا لجأ المصريون الى النكتة لانقاذ موقفهم ، فقال الشاعر العوضي الوكيل : ولكن هل نسيب لفظة اللقاء الواردة في آخر البيت ففي « اللقاء » تشترك « كل » الحواس فضحكنا لحرارة النكتة .

وهنا تذكرت انني اشتركت في مسابقة اعدتها جريدة « الخبر » التي كانت تصدر في اللاذقية . وموضوع المسابقة كان « تشطير » بيت شوقي هذا مع شرط المحافظة على التعاقب بحرف الفاء .. وفاتحت سعيدا بالامر فأخرج الورقة والقلم فأمليت عليه :

نظرة ، فابتسامة ، فسلام فهيام ، فلوعة ، فبكاء
فوجوم ، فغمغمات ، فهمس فكلام ، فموعد ، فلقاء

وصفق سعيد فرحا ، وطاف بالبيتين على الوفود معجبا متحديا .

واحتفظت لنفسي بفكرة التحدي فضمنت قصيدتي المعدة للمهرجان هذا النوع من القصة لمتدرجة مع حرف الفاء . بناء على رغبة سعيد بك وقبوله التحدي الادبي .

وفي اليوم الاخير للمهرجان جاء دوري ، وكنا ربعة اثنان مصريان ، وهما احمد حسن الزيات ، الشاعر علي شمس الدين ، واثنان سوريان الدكتور سالح الاشتر ، وانا .. وبلغت في الالقاء قولي :

راقبته ، فأطل ، فاستقبلته
فأشاح ، فاستضحكته ، فتبسما
ففمزته ، فازور ، فاستوقفته
فارتاع ، فاستنطقته ، فتلعثما
فتركته يمضي ، فمر ، فأينّا
في مذهب الشعراء كان المجرما ؟؟

وارتفع صوت الشاعرة روحية القليني تقول : ت !! أنت ! جوابا على تساؤلي في البيت الثالث .

ووقف سعيد الجزائري يصفق ويستعيد .

ومرة في المقهى التقينا بالدكتور بديع حقي وكان ن المتحمسين لظاهرة الشعر الحديث ، وكان يطلق ليه يومئذ اسم الشعر الرمزي ، وبعد نقاش حاد بينه وبين سعيد الجزائري تناول الاخير قلماوورقة فكتب عليها :

جاءني « حقي » يقول ان للرمز اصول
ان شرط الرمز الا تفهم الرمز العقول

ولما القى صالح جودت الشاعر المصري قصيدته في المهرجان وحمل على ظاهرة الشعر الحديث ومما قاله :

وما الشطرتان سوى المقلتين ، وفاقد احداهما أعور

استغل سعيد بك المناسبة وانحى باللائمة على الوفد المصري ، واتهمه بأنه يقول ما لا يفعل ، والاكيف اجاز المجلس الاعلى لصلاح عبد الصبور ، وعبد المعطي حجازي ان يكونا في المهرجان كشاعرين (والمعروف انهما يكتبان الشعر الحديث) ولم يمض على هذا الحوار الايومان حتى وردت برقية من رئاسه المجلس الاعلى للاداب في مصر ، وكان يرأسه عباس محمود العقاد تتضمن سحب الصبور ، وحجازي من المهرجان ، فانسحب احدهما واضطر الآخر ان يشارك بقصيدة موزونة مقفاة .

واستفاقت دمشق في ٢٩ ايلول آخر ايام المهرجان على صوت المذيع : هنا دمشق بلاغ رقم ١ وانفصمت عرى الوحدة ، وكان الانفصال البغيض .

وران الوجوم على الوجوه ، وكان سعيد الجزائري اكثرنا اكتئابا .

انني وانا أستعيد تلك الذكريات واسجل هذه الكلمات اعترف بما لسعيد الجزائري من الفضل ، وبما قلد عنقي من المنن ، وما اولانيه من عناية ، وحسن توجيه في سبيل الادب الوعر الشائك .

كان سعيد الجزائري ملء الاندية ، ملء النفوس وكان ... صانع ادباء .

ومات سعيد الجزائري ، فخلا ندي ، وهدا سامر ، وتحطم كأس ، وغاض معين ظرف وأدب .

الدريكيش ـ حامد حسن

من الأدب المهجري

الشاعر شفيق عبد الخالق

بقلم : نعمان حرب *

يبقى الشاعر المهجري ذلك الشلال المتدفق من قمم الجبال ومن سفوح الهضاب ، فينشر رذاذه كالندى يغمر سطح الارض ، وتتشكل من عنفاته السارحة على المروج والحقول تلال من العبق والضباب ، تنمو في هدوء الطبيعة ، وتتلاشى في مهبات الرياح . ترتفع وتتمدد في تحركات الهواء اللافح وكأنها اعمدة من سبائك الثلج او انسجة من موجات السراب .

ويستمر الشلال في هديره وجريانه ، يروي الارض ، ويبعث فيها قوة الحياة فينبت الزهر والورد ويعيش الزهر والضرع ، وتستمر الطبيعة في دوراتها الجميلة ، وفي خلودها الساحر على مصب العمر . وفي شفتي الزمن .

الشلال العظيم يوزع خيراته على جميع الكائنات الحية من جماد وانسان .

ويفيض بنعمائه على الانهار والبحار ليطعم المياه المالحة ، ويولد في احضانها اللؤلؤ والياقوت والمرجان.

في كل يوم اقف امام هذا الشلال خاشعا ، كما يقف الزاهد المتعبد امام محراب العبادة يتلمس الجنة والنعم .

وفي كل يوم انظر الى ما وراء الافق اللازوردي .

كي تكتحل عيناي برؤية الالوان الزاهية المتعددة ، ويغمض جفناي من شدة حرارة الانوار المشعة الوافدة من لمع النجوم المطرزة في افلاك اللانهاية .

هذا هو اللهاث المعطر .
هذا هو الضوء المتثائب من اجفان الليل .
هذا هو الطيب المتدفق من خيوط القمر .

خلق وابداع وحماسة ، وكتاب مفتوح يربط القديم المشرق بالجديد المتفتح واشعر بالصلة القوية المتماسكة بين الادب والحياة .

هذه الصلة ، هذه المفاتن ، هذا الاريج ، عمقها الادب العربي المهجري وجعل منها منارة هدى ، ومنابع معرفة وقبسات مشعة .

ويبرز امامي عالم متكامل من الفن والابداع .
وتشدني اليه انفاس من اللهيب والطيب .
وتنجلي الصورة من وراء الافق .
وتقبل مضيئة كالشهاب بين النجوم .

وتشير باحرف من نار ونور الى فكر ملتهب ، الى روح جموح الى طبع صلف ، الى كبرياء عالية ، الى وثبة جبارة ، الى ثقة عمياء بالنفس والعزيمة .

اعزفي كي يجهض السيف على كل خيانه
وافضحي في الحكم اسباب التواني والجبانه
وارفضي الندب، فشعبي صار في الندب غنيا
وامسحي الدمع فان الدهر لا يرحم عيا

وكانت الصورة التي اطلت من وراء الافق ، هي صورة الشاعر الملهم شفيق عبد الخالق . فمن هو هذا الشاعر المجيد ؟

حياته في سطور

١ ــ ولد في قرية مجدلبعنا ــ لبنان .

٢ ــ تلقى علومه في الجامعة الوطنية في عاليه . تخرج منها عام ١٩٥٠ م

٣ ــ سافر في اواخر عام ١٩٥١ الى البرازيل ، استقر في مدينة سان باولو ، يعمل بالتجارة ولا يزال فيها حتى الآن . وحظه في الربح والشراء كغيره من الادباء والشعراء الذين ينظرون الى الحياة بمنظار الروح وليس بمنظار المادة .

٤ ــ نظم الشعر في الرابعة عشرة من عمره .

٥ ــ يتميز شعره بالثورية على كل الاوضاع التي تسود البلاد العربية ، والتي ادت الى تشريد ابناء فلسطين في بقاع المعمورة . والى سيطرة المشردين على ارض الميعاد .

٦ ــ له قصائد كثيرة تنضب في قناة تكاد تكون واحدة : ثورة جامحة على الاستعمار والصهيونية . دعوة صادقة للوحدة العربية الكبرى .

٧ ــ مؤمن بالوحدة العربية الكبرى . مؤمن بقوة الشعب العربي ، مؤمن بانتصار القومية العربية .

٨ ــ سيجمع ما نشر من قصائد ، وما لم ينشر في ديوان واحد يصدر قريبا .

٩ ــ عضو في « عصبة الادب العربي » في البرازيل .

نماذج من شعره

الشاعر شفيق عبد الخالق لا يفرق بين مسقط رأسه « لبنان » وبين اي قطر عربي آخر .

وهذه رائعة « بلدي » التي لم تنشر بعد ، تصور بلده : « البلاد العربية » : وهي مصدر المفاخر والامجاد وحنينه الى خمائلها وطيورها ، وشوقه الى ارضها وجبالها . هذا الشوق العارم الذي يحمله على اهداب عينيه . وهذا الحنين العميق الذي يغمر كل كيانه .

فيالها من منارة عالية لا يستطيع الضباب ان يحجبها عن العيون . ويا لها من انوار مشعة لا تستطيع الرياح العاتية ان تحجبها عن الابصار .

بلده شامخة كالطود .
انشودة على قيثارة المجد
شامة وضاءة على جبين العصور
رسالة خالدة في قلب الزمن
قلعة في صمودها

قمة في جهادها
نسر في عليائه .

وهي ندية في شمائلها ، خيرة في عطائها ، عظيمة في تاريخها ، وهاجة شمسها من محيطها الى خليجها. فاعظم بهذه الرسالة ، واكرم بهذا الرسول .

واسمعه يقول :

بلدي ارجع بعد طول غياب
لمرابع الذكرى وزهو شبابي

فأرى الخمائل والطيور صوادحا
والشوق محمول على الاهداب

لا تقطع الامل المشوق بعودتي
اقسمت الا يستطيل غيابي

انا دون حبك لا اعيش بغربتي
وبدون انسك لا يجود ربابي

ولقد جعلتك قبلتي وعبادتي
وهياكلي ومباخر المحراب

انا في حماك زرعت قلبي فانتشى
حبا فخفف لوعتي وعذابي

في الشاطىء الثاني وقفت متيما
ويعثت تحناني بكل عبـــاب

فلعل في الامواج بعض تلطف
في حمل اشواق المحب الصابي

* * *

بلدي طبعتك في المشاعر مثلما
طبعوا السماء بانجم وشهاب

وفرشت عاطفتي عليك تحفظا
من شر غائلة وظلم سحاب
وفتحت قلبي فاحتواك بشوقه
ورعاك بالتهليل والترحاب
وطربت مغبوطا باجمل صورة
ردت الي مطامحي ورغابي

* * *

بلدي هناك موانع ومظالم
واذى من الحكام والحجاب
وهناك طيش رعونة وتعصب
فلعله سبب من الاسباب
وعلى ذرى لبنان الف سحابة
مشحونة بالحقد والاوصاب

* * *

بلدي هجرتك مرغما وانا الذي
عانيت بالهجران طعم الصاب
وانا الذي غناك فانبلج الضحى
املا كانسام الندى الخلاب
رحماك يا بلدي فلست بناكر
اهلي ولا وطني ولا اترابي
انا ان ذكرت الشام همت صبابة
ملأت من امجادها اكوابي
وعلى مدى الوطن الرحيب هواجسي
من شر حساد ومن اغراب

* * *

بلدي اردتك قلعة بصمودها
تحنو على الاجيال والاحقاب
بلدي اردتك قمة ونسورها
أدنى مراتعها شموخ روابي
وطني اردتك وحدة وارادة
قومية الآمال والانساب

* * *

ان العتاب يحز في نفسي فلا
تقس علي بلومة وعتاب

انا قد رفعت لواك في شم الربى
فغدت محجبات لكل عقاب

انا ان قضيت بغربتي فلأمتي
شعري وصورة حبها الجذاب

* * *

بلدي اذا ما عدت جدد صورتي
وهويتي والشوق في الاحباب

لي في الديار احبة فاذا قسا
زمني ولم ارجع فتدرك ما بي

اني عشيقك حيث كنت وصوتك
الداوي ، وزارة ليلك الوثاب

اني سفيرك والسفارة ثورتي
ومحابري ودفاتري وكتابي

* * *

نحن مع الشاعر في احلامه وآماله . ولا نقبل ان يصرعه اليأس وكله كتلة من زهو وايمان ورجولة ومضاء .

لقد ابكى « العباس بن الاحنف » ولكنه لم ييأس . واضاع « امرؤ القيس » ملكه وتاجه ولكنه لم ييأس . وفقد المهلهل اخاه كليبا وابقى على ثأره ولم ييأس . وقال ديغول كلمته المشهورة في الحرب العالمية الثانية : فنحن من « امة عانت الصغار » كما قال شفيق معلوف

وعلى الشاعر الماجد ان يدفع بقلوبنا الى الامام ، ويملأ نفوسنا بالآمال والاحلام .

صورة حزينة يرسمها الشاعر على اطراف النجوم وعلى حوافي الفردوس ، وفي اجفان النعيم . ويا لها من حسرة ثلجية ، تسلب الحس وتعمي البصر ، وتدمي القلب .

عندما يرف العلم ويخفق ، ويجيل الحربي طرفه ويحدق . فلكن في وطن غريب لا الاهل اهله ، ولا الارض ارضه ، ولا النجوم المشعة نجومه ، ولا الهواء الذي ينشقه هواؤه ، ولا الثرى الذي يلثمه ثراه .

وشتان بين الوطن المضمخ بالند والطيب الرافل الا عند اغفاءة النور ولا ينطلق الا على الجناح المهيض. في حلل المجد والفخار ، وبين الوطن السابح في احضان الليل كأنه ركام قاتم في ضمير الوجود الهائم ، لا يبرز

ولا يشعر بأنات المبعدين وصرخات المعذبين ، وآهات الوالهين الذين ساقتهم صروف الحياة القاسية الى ولوج اعتاب العتمة والظلام .

هذه النبضات الصادرة عن قلب المغترب المعبرة عن اللهفة المحرقة والعاطفة المشبوبة ، تتجلى في قصيدة « وطني » التي نظمها الشاعر . ونورد في هذه الدراسة جزءا منها قال :

شوقي الى وطني الغالي ومن فيه
قلبي يرف حنانا في اعاليه

في الحلم ابصره ، اهفو لروضته
وفي التيقظ بالآهات ابكيه

فكل اهليه اهلي في محبتهم
ولا ارى غيره يسمو بآهليه

اشقى بني الارض انسان بلا وطن
في غربة نحرت احلى امانيه

فكلما رفت الاعلام خافقة
في موطن اهله بالروح تفديه

اجيل طرفا فلا اهل ولا علم
ولا نشيد بآمالي اغنيه

لا الاهل اهلي ولا ارضي ولا وطني
ولا النجوم شعاعا في لياليه

فموطني كيف اقصى عن مباهجه
وكيف يحسر طرفي عن مغانيه
كفرت في جنة الفردوس فهي على
رفاهة وتعيم لا تضاهيه
فموطني قطعة من جنة هبطت
ارضا فصارت نعيما في معانيه
سفوحه والخزامى خير ما صنعت
يد الطبيعة من ابداع باريه

فيستميح الندى معطار روضته
وتستميح الحلى رؤيا لآليه

وتستميح المعالي طود قيمته
وتستميح من الراعي اغانيه

يكلل الثلج آكاما ويغمرها
سحرا وينساب عطرا في سواقيه
ان مت مغتربا لا تجعلوا كفني
الا تراب بلادي كي يواريه

لو كنت يا وطني صخرا واتربة
وكان غيرك تبرا لا احابيه

فأنت اغلى على قلبي ولست ارى
الاك والغير في طون التشابيه

فارض غيري لغيري لا احن لها
ولا اراوغ انسانا لاغريه

* * *

نذرت نفسي فداء والدماء له
وصنته بفؤادي من اعاديه

يا حبذا لو اراني الحظ خضرته
وراء زورق احلامي شواطيه

حتى امرغ شوقا من ثراه فمي
ويستظل فؤادي حور واديه

واستعيد هناه من خمائله
واستعيد حياتي من روابيه

اني لاتعس خلق الله قاطبة
ان لم اكن بفؤادي من محبيه

دفقات من طيب ووجيب .. تنتشر وتسطع ... تهز الاحساس الصامت في قلب كل مغترب ، وتبعث الالم والاسى في صدر كل مقيم .

صوت فلسطين

وينشد الشاعر شفيق عبد الخالق اناشيد الثورة الفلسطينية . يذرف دمعة من روحه ويمزق المنديل الذي يمسح به النزيف . ويجفف الصدر الذي يلله الاسى بصرخات الثأر .

انه لا يبكي الشجرة التي كانت شامخة فعبثت بها الدودة واستطاع الاعصار اقتلاعها .

ولا يبكي الصخرة الصلبة التي كانت تطاول الدهر بصمودها وقوتها . فتهوي عليها مطارق الحديد كي تبيدها .

ولا يبكي على انسان كان حرا في ارضه ووطنه ، فتكالبت عليه قوى البغي والطغيان حتى حرمته حريته واقتلعته من ارضه .

وقال في « اناشيد الثأر .. والحياة »

وقعي يا ريشتي لحنا انيسا وشجيا
وارفضي الحزن فلن نعشق حزنا جاهليا
واعزفي الثورة واستجلي نشاطا ثورويا
فاقحمي الموت،فيخشى الموت منا فابيا

ولكن لا بد للدمعة من ان تنحدر ولا بد للجرح من ان ينز ، ولا بد من استعادة المنديل ليمسح به الجرح:

قالت اتمضي بالدم المسماح
وانا ضحية مجرم واباحي
صدري يمزقه الاسى وكرامتي
نهبى لشذاذ الدنى الاوقاح
وقداستي رقصوا على محرابها
من ينقذ الاقداس من مجتاح
وتركتني للمستبد مسارحا
ليعيث بالاجساد والارواح
في السجن اولادي وفي كف الردى
في الخافقين وعبر كل بطاح
رفضوا الخنوع واقسموا بدمائهم
حريتي الكبرى وفك سراحي
هم مأملي الزاهي وصوت عدالتي
وبريق احلامي وطعن رماحي
والصرخة الاولى بوجه مساوم
يسعى بقبضته لقص جناحي

وقال :

فغدا يثور الموج عبر خضمه
فيكيد للقرصان والملاح

شعر المعركة

اتيت في هذه الدراسة على تعريف الشاعر شفيق عبد الخالق من خلال قصائده الوطنية وتوجيه شعره بكامله تقريبا في منحى القضية القومية ، والحنين الى الوطن . والشوق الى ربوع العزة والكرامة . ويطول بي المجال اذا انا تابعت عرض كافة الوان الشعر التي جاد بها الشاعر . فهناك نفحات قدسية ، وقلائد جمانية تصلح لاعناق الحسان ، وتهز اوتار القلوب . وهناك باقات من الورود والزهر جنتها يد الانسان من حديقة الفتنة والجمال .

وارى ان أشير الى الميزة الكبرى التي تطغى على شعر المهجر ، وهي الحنين والشوق الى الوطن والتغني بالتراث والامجاد . وقد كرس معظمه لخدمة المعركة القومية التي تخوضها الامة العربية .

ونحن بأشد الحاجة الى هذا الدفق الشعري الذي يفيض على أرض العروبة كي تبقى النفوس والهمم والنخوة والحمية في صدور الرجال لاسترداد حقهم السليب .

ان شعراء المهجر لم يغفلوا عن الجلجلة في العالم العربي ، وعن بعث جميع مقومات التجديد بجراة وصراحة . وسيبقى شعرهم منارة وهاجة تضيء الطريق امام الاجيال الحاضرة والصاعدة .

السويداء : نعمان حرب

ايقاعة في القطار الساكن

قصة : لدريد يحيى الخواجة

الشرفة حديثة جدا مسكونة بالفرح ، معبأة على كسل بالأجساد والعطور والبهرجة ، عائمة على روائح القهوة العربية في العيد . تكاد تعانق محطة سكة الحديد في حمص . لم أرغب وسط هذا أن أحتضن الألم في داخلي أولا . والذي بدا يعشوشب في عيني أخي ايضا .

دروب المحطة المقسومة بالسكك الحديدية الممتدة بالسفر ، افترعت غشاء ذلك الشيء الذي تدفنه في جانب مهم من اعماقك . تقف في هذا الجانب . وحاولت أن أهرب .. حاولت ان اكون عيدا ما في مجري نهر روحي ، اللحظة .. تنحيت عن تلك الارجوحة التي تقذف اليك أذرعها فجاة كأخطبوط . لترمي بك في الزمن . لكن . صوتا ولد . ترعرع غدا قويا متدفقا . ثم عميقا يصل الى نفسي مثل ترعة غارقة في شعاب الارض ، مثل الحب المجنون الضائع في الاعصاب . والدم .. تسرب الى المآقي ، ثم غدوت ممتلئا ملتمعا به وحولي . لم تنفعني محاولة الا اكون في هذا الشيء لم يرحمني أخي .. هز شجرة الذكريات .. وجدتني مثل شيخ هائم احترقت عيناه بنار مقدسة قديمة . يلتقط اوراقها . ويهز الغصن بعد الغصن ..

انسل صوت أخي مختنقا بأجنحة مهيضة : « هل تعرف ياأخي !؟ .. حقيقة .. نفتقد تلك الايام ؟!. » تساءلت : « وهل يستطيع الانسان الا ان يكون فاقدا او مفقودا . ولكن .. » أحسست بأني أعرف ، وأفتقد . وأتحول . العينان تخبئان في خفايا الاحداق هذا الشيء الذي بيني وبينك .. ساح الشعاع .. فليترقرق الذي لابد ان يأتي .. وأنا أهمي بمطر

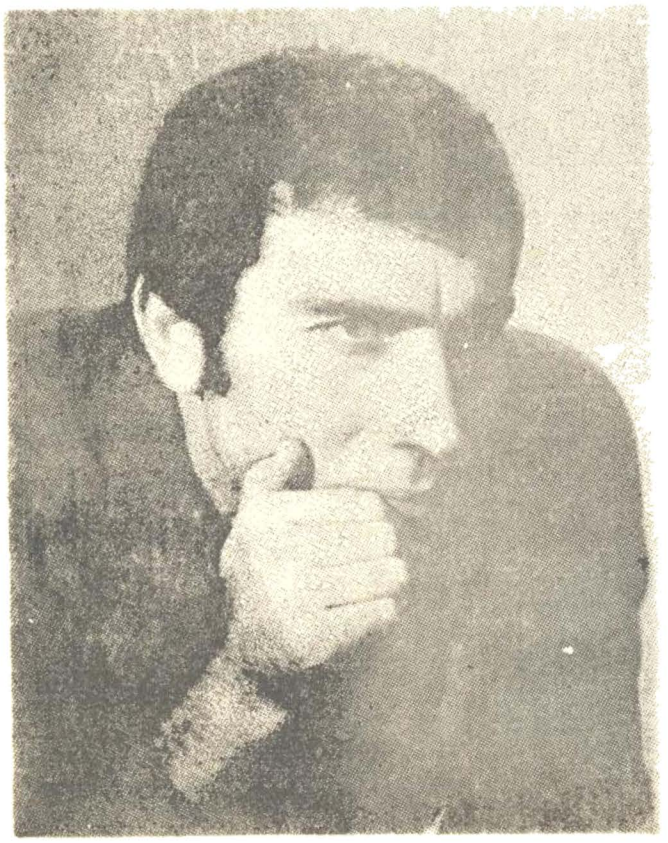

دريد الخواجة

اللهفة والحنين والمتعة المضطربة .

جوم الصوت : « هذه القطارات ياأخي ، اجمـل عندي من غابات الفرنلق ، وغوطـة دمشق ، ومسرات الدنيـا . » .

أجل !. اعتراف وددت لو أخبرك به قبل . لكـل منا أشجاره .. فالليل طالماسكن طويلا في اعماقي ، قبل ان ارى هذه القطارات العثمانية مغلقة . الأبواب على الحكايا . هذه القطارات القديمة المهملة جانب السور المقطور بعضها ببعض . أمامنا ، شهادة . تبـدو الآن متصلبة .. حيوانات أسطورية معروضة بشكل مهيب وحزين . الأشجار حولها محبولة بالسفر .. تختزن روائح الأخشاب والفحم الحجري الآتي من البعيد .. متملكة اصوات الذين مضوا . الصفارات ثمارها .. هذه أدخنة المازوت ترقش جلدها .. الاتربة شريطـة على راسها .

قال أخي ونظره يسرح . يكتشف المكان :

ـ » اتعرف شيئا مامنيف !؟ .. «

وماذا أود ان أعرف . لماذا لايسقط الانسان فـي جحيم الالم مرة واحدة . تكبر الاشياء وهي تبتعد . وتفيض فيك الدهشة حين تدرك ان هذه الاجـزاء الصغيرة المتفككة في أعماقك ، وانت تحيـا معها عـن قرب دون ان تعني لك شيئا ملحا دائما . قد تشكـل بسرعة حياة كاملة من الاشياء والناس كلما أمعنـت هاربا منها . مامن شيء ينتهي أبدا . الذي مضى نلفه بأعماقنا . ونتابع .. دائما نبدو .

ـ « اتعرف .. كانت شفاهه صامتة . أتذكره ؟ كانت مغبشة بالألم والقوة .. بيضاء من الظلمـة .. حتى عندما يبتسم صاعدا القاطرة . دائما متعـب ومتحرق شوقا الى الدروب . تعس من اجلنا ، وأجره بائس مثل كل العمال ذوي الندوب العميقة .. أيـام الانتداب الفرنسي . شيء مؤسف الا نكون معه فـي تلك الايام .. اولا يكون معنا الآن تغيرت أشياء كثيرة ولكن .. » .

لكنه الان معنا . اجده في المستقبل . وكنا معـه نحن فيه وهو فينا .. احتمل آلامنا . ونظل نحمـل آلامه .. وقد نعطيه الفرح بشيء .. حين يبـدا الانسان .. هنا ، لن ينتهي . لم يمض احد ابـدا في مكان .. بل يحدث كل يوم في العالـم . بدايـة اي منا ونهايته توأمان . ونظرت الى عينيه يلمع فـي سوادهما احساس متوهج . لكأن شيئا مدمرا مضيئـا معا يتأهب فيهما كالبراكين .. لكأنهما عينـي رسام مثقل الأعماق .. متوتر النفس ، يوالي ، تشكيـل لوحة من دون ان يحسب الألم والتعب حسابهما .. أخي !.. لا تشدني الى قاع الحزن بهذه القسوة !.

ـ « في أيام الشتاء » كان يلف ابوك نفسه بمعطف مدخن ذي خطوط خضراء ، بينما المطر يتدافع بقـوة في الخارج . يصفر اغنيات من نفسه عن العمر الـذي يسرع فيه ، وعن رزق العيال في اوان الشتاء القارس مشدودا الى ايقاع الرحيل في القطار .. كـم لعبت في مقطوراته ، ونمت ! كم شدني صفيره السحـري القادم من الاسرار ، اسابق السكة ، ألوح ، والفظ ، ارقص واهلل لابتسامة من يضمني بعينيه وقلبه قبـل ان ينتشلني بيديه الى جانبه. عندما يحط في المحطة في المساء ، كنت استشم رائحة الفرح والتعـب والحرارة والضحكات والثرثرات .. والتواطؤمـن أبواب المسافرين المشرعـة .. أتسلق الـى السقف والرفوف .. اتجول بين المقاعد الفارغة امثل بـين يدي أبي دور السائق في القاطرة التي ترتاح ...

« شذا » طفلة تلألأ التلهف والبراءة في محجرهـا عيق فجأة صوتها بحدة بيننا : « متى نسافر ياأبـي بالقطار ؟ .. ألم تعدني !؟ .. » وقبـل ان يضيف .. لمحها بابتسامة تواثب فيها قلبه :

ـ « .. كان اصحابه من شغيلة سكـة الحديـد يبتسمون لي وأنا في نافذة القاطرة المستقرة . ارقـب بين الحين والحين وجه أبيك المحترق بحمم الشمس تجاعيده تنز العرق المشوب بالشحم والطح الفحـات الوجاق وما يصبقه دخان الفحم الحجري المظلم . رايته ينتقل بهمة من مركبة إلى اخرى .. يتفحصهـا .. يمسها .. ويحادثها .. وكفارس يفرض ارادته عليها وهو يسلسن لها العنان ويتصدى للمخاطر والمفاجـأة في النهاية يقترب مني وخرقة يمسح بها تتلوى بـين يديه . سائلا : هل نمت جيدا ؟.. هل لعبت كمـا يجب ؟ .. هل حطمت شيئا ؟. جاء وقت الروحة .. يقبض علي من النافذة قبل ان انفر منه .. أنتقل معه قفزا ومشيا نقطع سكة بعد أخرى عرضا ونحن نتجـه الى المنزل .. وبصري ممتد الى وراء .. معلق بالسفر

بحركة العجلات الساحرة .. بالرجـل الـذي يحشر نفسه بين المركبات الهادرة ليعلق بعضها ببعض .. بتلك الوجوه القادمة من القرى المجاورة طافحـــة بالفقر والتمزق والجهاد واحزان الاعباء وهم يجرون عربة مثقلة بالفؤوس واللوالب والمعاول وقضبان الحديد والاسلاك الشائكة .. عائدين من رحلة صيانة علـى الخط ، قضوا ساعاتها العصبية وهم يسترجعـون أغنيات الحقول المسلوبة .. »

.. مايزال أخي يبحث الخطا في درب الاشواق . الطفلة تتشرب بجدما تقوله الوجوه ، والكلمات . منظر القطارات الرابضة وماحولها أخذ يزهر بالحب الذي انعكس بأشياء مما عرفه عنا . بدونا شيئا متمما في المنظر . هطلت مراحل عمرنا كالبرد . وتمتم اخي :

ـ « هذه القطارات عبأت ذكرياتنا . وربضـت الآن قدامنا !. من كان يظن أننا سنسكن هنا علـى بعد رمية حجر فقط . منذ موت ابيك كثيرا ماحلمت بذلك .. صباحا يتسلق الضوء نفسي على هـــذا المشهد .. أمر كل يوم بالمحطة في طريقي الى العمـل أعبىء صغارات القطار ورائحة الشحوم والزيـــوت والدخان في جيوبي وصدري ومختزيات جوانحي ، فأورزعها على الصغار : ـ خذوا ! هذا من رائحـــة جدكم ـ . وكل مساء تعزف الموسيقى الصدى مـــع اللهب بين اللهب في العمق .. هناك حيث لااستطيـع ان احدد نقطة أبدا بهما نفسي اوغيري على رقعة العمر الذي ولى . » ..

مال الى الامام ، واشار بذراعه يرسم نصف دائرة متسعة بدات وانتهت بالشرفة . كانت قطعة الارض المختلجة المنبسطة خلف سور الاسلاك الشائكة امامنا تبدو كأن خطوطها الحديدية تمتـد في اتجاه بعض جراحاتنا الداميات ...

ـ ـ « عجن أبوك هموم قاطرته بنا .. عجلاتها .. نزقها .. سرعتها .. سرها الذي يستعصي على غيره جبروتها .. حكايا الطريق في صدرها . كان يسافر ، يتسرب في الليل في الغياب .. يركب الموت ، ويبتسم ابوك لم يعرف الا الموت ، ويبتسم .. احاط به ولـم يزغ عنه . احيانا كان يستقر . كنا نتجمع حوله كأنه مدفأة والثلج على الابواب .. كأنه عود ثقاب تشعلـه في العتمة ، وفي الوحدة . » .

.. اما أنا فقد نسيته في زمن في شوارع مدينـــة مزدحمة أثناء الدراسة .. في اركان لاتعرف الاستقرار وحدها صغارات القطار أعادت الي الثقة بأنني مازال أتذكر اذ عدت الى مدينتي .. بأنه مازال يحيا فـــي مكان .. نبدو اذا لم نتذكر . وكيف نبدو اذا تذكرنـا انت مطرق الراس ! .هل ثمة شيء آخر أبعد مـــن أعماق عينيك !؟ ...

رشفت ثمالة قهوتي . مضغت أدخنة لفافتـــي ممتزجة بعطور النسوة . عمرت شرفة في نفسي بوجوه الأمل ، في الوقت الذي تحسست الحياة في مكان مـا تنتهي الحياة في مكان ما .. تبدأ الحياة في مكان ما .. وفي مكان ما تموت وتحيا .. لكـن شيئا ينطفىء فـي داخلي حين لاعود امشي ، أعمل ، أحمل أتعـــاب المساء .. اتلهف الى رؤية الأطفال والكتاب والشمس والازهار والماء .. أستشعر الحياة المتواصلة بسواعد العمال الخشنة تصب سقوف الاسمنت المسلح .. أغيب في النهار عن هذا الموت يبدأ وينتهي في الليل ..

احتجت الطفلة علـى الصمـت منـا شدة : « الا تأخذني معك الى المحطة ؟ » .

هل نحتاج الى ان يأخذنا احد معه الى مكان .او نرغب في أن نكون مع أحد في لحظة مافي مكان ، حتـى لنبدو مستعدين دون رأفة ان ندفع ثمن ذلك حياتنا! لسوف ننتظر دائما أن يأتي الينا احد ..او نأتي الـى احد دون ان نضع في حسابنا حقيقة الموت او الحياة !

لماذا نفكر بكل ذلك عندما يلامس صوتنا رأسنا ؟

... اكاد المح الحياة فيه هنالك خـلال الاشواك النابتة المتكاثفة من زمن في عجلات القطار .. علـى البعد أراه جزءا من هذا المستطيل من الارض يتفقـد شيئا تحت المركبات المقلوبة على أمرها . قد يهيء لنا بعد ذلك شيئا .. او ينتظر ان نهيء له شيئا .ويأتي قد يقدم الان مسلما بهدوء .. ابتسامته منيرة هذه المرة .. تشده رائحة القهوة العربية في العيد شدهـا الى الاحياء . يرتشف فنجانه وهو واقف ..عنـــده شغل دائم .. يسألنا الحديث عن أحوالنا ..ونسأله ثم يعود .. إلى الحركة الدائبة .. حركة الحيـــاة المستمـرة .

ما من شيء ينتهي ابدا نتبادل معه وهب المـوت للحياة . الذي مضى نلفه بأعماقنا ، ونتابع دائمانبدو بشكل ما .

سألت الطفلة : ـ هل تنتظر شيئا ؟! ـ

دريد يحيى الخواجة

حركة النشر في نادي الرياض الأدبي

بقلم : سمر روحي الفيصل

بلادنا والزيت

يقبل المرء على قراءة كتاب « بلادنا والزيت » ، الصادر عن نادي الرياض الادبي ، سلسلة كتاب الشهر رقم ٥ ، بفتور ، لانه يعتقد ان الحديث عن النفط والمال لا يتضمن مرغبات كافية ، ولكنه ما يكاد ينتهي من قراءة المقدمة التي كتبها جامع الكتاب الاستاذ عبد الله بن محمد بن خميس ، حتى تعتريه الدهشة . فالكتاب ليس عن النفط . ولا المال . بل عن تأثيرها في الحياة الاجتماعية والفكرية في السعودية. وبالتالي فهو كتاب في النقد الاجتماعي خطير واضح موضوعي ، يجعلك تقرؤه بسهولة ويسر ، لانه وضع الملح على الجرح كما يقولون . وما هو أشد غرابة ان تكون مواد هذا الكتاب قديمة تعود الى عشرين سنة ، اذ طرحت مجلة « الجزيرة » على قرائها ـ آنذاك ـ استفتاء حول موضوع تأثير النفط في الحياة ، وتلقت اجابات عديدة من مجموعة من رجال الادب والفكر نشرتها منجمة . ثم مضى الزيت فاذا السنون العشرون تبقي على جدية الآراء وموضوعيتها، وتبقي ـ اكثر من ذلك ـ على الباعث الحقيقي للاستفتاء . ولهذا السبب نشرها الاستاذ عبد الله في هذا الكتاب ، بعد أن جمعها من اعداد مجلة الجزيرة .

لقد وجهت مجلة الجزيرة السؤالين التاليين :

« ١ ـ تقول طائفة : ان اكتشاف الزيت في بلادنا كان فتحا جديدا لتقدمها في كافة الميادين ، وسببا في رخاء معيشة السكان ، وتطوير حياتهم ، ووفرة المال في ايديهم .

٢ ـ وتقول طائفة اخرى : ان المراد برقي الشعوب ، هو اعتمادها على نفسها وكدحها في كافة مجالات الحياة ، وايجاد شعور حي عند كافة افرادها ، يوحد أهدافها ، ويوجه مصالحها ، ويبني مستقبلها على أساس من العلم والعمل .. اما مجيء المال عن طريق الزيت وحده ، فالى حد الآن ومضرته على شعبنا اكبر من منفعته !! بدليل اننا كنا نعيش بكسب ايدينا ، ومما تخرج ارضنا (على شظف في ذلك ولكنه لذيذ) .. اما اليوم فالزراعة قد تدهورت ، والصناعة الشعبية قد اختفت، والعزائم قد خارت ، والسواعد قد ارتخت .. وكفى الشعوب مرضا ان توجد فيها هذه الصفات او بعضها ، ولو كانت تملك خزائن الارض .. ولو وقف الزيت لامر لا يبعد على احداث هذا الزمن لظهرت لنا الحقيقة المرة المؤلمة .

فما رأيكم حيال هذا ؟ واي الرأيين لديك احظى

واسلم ؟ واذا كنت ترى انه لا بد من علاج ، فما هو ؟ نرجو توضيح الادلة التي تبنون عليها حكمكم » .

ليس هناك شك في ان الاجابات المطروحة عن السؤالين لم تكن على سوية واحدة ، من حيث دقة معالجة المشكلة ، وتحديد اسبابها وطرائق حلها . الا ان هناك اتجاهين واضحين في الاجابات :

الاول : لم ير المشكلة هينة ، ولكنه تحيل على اسبابها ونتائجها بأسلوب ادبي جميل لا تخرج منه بفائدة كبيرة . ويبدو ان هذا الاسلوب مقصود لذاته ، بحيث يستطيع الكاتب الاحتماء به ، والعزوف عن طرح رأيه الصريح الواضح .

الثاني : يشارك الرأي الاول في ضخامة المشكلة ولكنه جريء في المعالجة ، واضح ، محدد ، يؤلمه ما يراه ، ويحاول تحديد المشكلة واسبابها وسبل تجاوزها .

يمثل الاتجاه الثاني غالبية الذين ادلوا برايهم . فقد رأى محمد عمر توفيق ان الثروة التي نجمت عن ظهور النفط ليست شرا وخيرا ، وان كان المنطق يقول ان المال يساعد على التقدم والتطور . ان القضية في استغلال الثروة للتطور والاصلاح ، وليس من اجل ترسيخ التخلف . وقد شاركه في هذا الرأي علي الحصين . في حين يؤكد محمد احمد جمال وغزالي حرب ومحمد بن عبد الله بن حمدان ومحمد ابن عبد الله حميد على ضرورة تنظيم الوسائل الحسنة لاستخدام الثروة في الحاضر والاحتياط للمستقبل . ويرى هؤلاء ضرورة من شبكة مواصلات دراسية . والعناية بالزراعة والصناعة . وفي رأي محمد عمر توفيق ان اصلاح الفرد هو الحل الملائم ، لان الفرد اذا صلح صلحت الجماعة وقادت الثروة الى المنفعة العامة .

والواضح ان هناك اتفاقا على ضرورة العناية بالزراعة والصناعة . وقد رأى عبد الله بن محمد بن خميس ، جامع الكتاب ، ذلك الامر من خلال تقصي آراء الكتاب والمفكرين . وأوضح في خاتمة الكتاب ذلك محددا الامر بأربع نقاط رآها تتكرر ، وهي :

التعليم المركز الهادف ـ انشاء شبكة مواصلات جيدة ـ استغلال الاراضي في الزراعة ـ العمل على ايجاد صناعة وطنية . والاستاذ خميس نفسه في رأيه المنشور في الكتاب يقارن الماضي بالحاضر : في الاول اعتماد على النفس . وجلد وكفاح وصبر وانتاج ، وفي الثاني غرق في الكماليات ، والمباهاة بها والتنافس فيها.

من الواضح ان هناك تفاؤلا حذرا لدى بعض المفكرين . فعبد العزيز عبد الله الربيعي يرى ان ضرر النفط أكبر من نفعه حتى الآن ، ولكنه متفائل بالمستقبل ، شأنه في ذلك شأن عبد العزيز الرفاعي. في حين يؤكد حسن عبد الله القرشي على ضرورة التخطيط ، ويجعل ذلك هاما جدا .

ان استقصاء الآراء لا يخدمنا كثيرا هنا ، ولكن الدلالة البالغة الاهمية هي وعي الكتاب بشخصيتهم الجديدة بعد تدفق النفط ، وخوفهم من نضوبه دون ان يستعدوا لذلك ، او يحاولوا ايجاد البدائل المناسبة . وهذا القلق على المستقبل مشروع ، يحتاج الى حدة في نقد الواقع ، والى صراحة في تحديد الاسباب ، وهذا ما يطالعه القارىء في ثنايا الكتاب ، وهو نفسه السبب الذي دفع جامع الكتاب الى تقديم عمله .

الحروب الصليبية
وأثرها في الشعر العربي

صدر الكتاب عن النادي الادبي بالرياض ، ضمن سلسلة كتاب الشهر (رقم ١٥) ، لمؤلفه الدكتور محمد بن علي الهرفي . يضم الكتاب اربعة فصول ، ينصرف الفصلان الاول والرابع الى تأريخ الحملات الصليبية . واستقصاء اسبابها الدينية والتجارية والسياسية ، وحالة الشام ومصر في اثناء ذلك ، وينصرف الرابع الى ايراد نماذج من الشعر الذي قيل في مناسبات هامة في تاريخ الحروب الصليبية .

أما الفصلان الثاني والثالث فينصرفان الى الشعر الذي قيل في الحروب الصليبية . فالفصل الثاني . وهو فصل موجز جدا ، يبحث في اثر هذه الحروب في لغة الشعر وموضوعه . فقد استخدم المؤلفون العرب نتيجة الاحتكاك بالصليبيين بعض الكلمات الاجنبية في كتاباتهم ، كما فعل ابن شداد صاحب كتاب

النوادر السلطانية . فقد استخدم كلمة « ترم » التي تعني بالانكليزية الفصل . وورد عند المقريزي استعمال كلمة « البرنس » ، وعند ابن تغري بردي كلمة « سير » . وقد تسربت هذه الكلمات الى لغة الشعر ، كما هو ملاحظ عند ابن منير الطرابلسي في قوله :

فبرنست البرنس لفـــاع خف
وجرع مر جوسك جـــوسلين

وعند ابن القيسراني في قوله :

كما أهـدت الاقدار للقمص اسره
واسعد قرن مـن حواه لك الاسر

اما تأثير الحروب في موضوعات الشعر فواضح في شيوع الفاظ ، من نحو : الشرك والكفر والصليب . فقد شبه العماد الاصفهاني الكفر بالانسان الذي يعض يديه حسرة ومرارة من شدة الندم على اهمالـه وتفريطه . وقد ظهر بالتأثير نفسه موضوع رثاء المدن وهجاء المتخاذلين ، والغزل بالاوربيات والحـديث عن حسنهن .

اما الفصل الثالث فينصرف الى الحديث عن شعر الجهاد على انه لون جديد من الوان الحـروب الصليبية . فقد واكب الشعر الحروب طوال قرنين من الزمان ، واستمر مؤثرا قويا حتى خرج الصليبيون من بلاد العرب . وفي هذا الشعر لاحظ المؤلف اتجاها خاصا بالدعوة الى الجهاد ، كما في قصيدة لابن الخياط واخرى لابي المظفر الابيوردي . وقد علل المؤلف بروز هذا الاتجاه بالوضع السيء للمسلمين آنذاك ، وضرورة الدعوة الى الوحدة بينهم كي يحققوا النصر عـلى اعدائهم . كما لاحظ المؤلف اتجاها آخر انصرف الى وصف المعارك التي خاضها المسلمون ضد الصليبيين . فقد تحدث الشعراء عن مشاهد القتـال ، وادوات الحروب ، وسقوط الحصون والمعاقل الافرنجيـة . والمصير البائس للاعداء . وقد برز في هذا اللون طلائع ابن رزيك الوزير المصري وأسامة بن منقذ ، اذ كـان الوزير يرسل الى اسامة قصيدة فيرد عليه بأخـرى على الوزن والقافية نفسيهما ، متحدثا في اثناء ذلـك عن معارك المسلمين التي انتصروا فيها بقيادة نورالدين زنكي . يقول اسامة في احدى هذه القصائد :

نسـير الـى الاعداء والطير فوقنا
لها القوت من اعدائنا ولنا النصر

فبأس يذيب الصخر من حر ناره
ولطف له بالماء ينبجس الصخـر

وجيش اذ لاقى العـدو ظننتهم
اسود الشرى عنت لها الادم والعفر

ترى كل شهم في الوغى مثل سهمه
نفوذا فما يثنيه خوف ولا كثـر

هناك اتجاه ثالث لاحظه المؤلف هو المديح . فقد كثر الشعر المدحي كثرة هائلة ، اذ كان يخلد ابطـال الحروب وقادتها . يقول المؤلف : « والمتتبع لهـذا الشعر يجد ان الشعراء مدحوا أبطال هـذه الحروب في كل مناسبة ، وبعد كل معركة خاضوها وانتصروا فيها . بل انهم مدحوهم بعد بعض المعارك التي لـم ينتصروا فيها ، واعتذروا عنهم ، ووقوا عزائمهـم للاستمرار في الجهاد . اما الصفات التي اطلقوهـا عليهم فكلها تتعلق بالجهاد وما يتطلبه من صفـات البطولة والشجاعة والتضحية والبذل والعطـاء والسماحة » . وعلى رأس الذين تم مدحهم عمـاد الدين زنكي وابنه نور الدين وصلاح الدين الايوبي . وقد حظي الاخير بعدد وافر من القصائد لانه فتـح القدس ، وممن مدحه اسامة بن منقذ الذي قال فيه :

يا ناصر الاسلام حـين تخاذلت
عنه الملوك ومظهر الايمـان

بك قد أعز الله حزب جنـوده
وأذل حزب الكفـر والطغيـان

ومن صفات المدح الجديدة التي اوردها اسامة ابن منقذ في قصيدته المذكورة صفة بذل الامـوال الطائلة للانفاق على تجهيزات القتال ، والانفـاق على المجاهدين . وقد لاحظ المؤلف ان غالبية شعر المديح يتميز بصدق العاطفة وحرارتها ، اذ ان الشعراء كانوا يقولون القصائد بدافع من ايمانهم ورغبتهم في استرداد مقدسات المسلمين . ولذلك نجد ايضا ان اكثر هـذه القصائد ابتعدت عن التكلف المقيت للمحسنات البديعية اذ ان الجو العام ـ وهو جو المعركة ـ يقتضي مـن

الشاعر ان يقدم قصيدته بوحي عاطفته الصادقة دون تكلف او عسر . اما ابرز المعاني التي طرقها الشعراء في قصائدهم المدحية فهي : وصف الممدوحين بالشجاعة ، وشدة البأس ، والحلم والاناة والحكمة . وقيامهم بنشر العدل بين المسلمين ، ثم الاكثار من الحديث عن نصرتهم للاسلام وهزيمتهم الاعداء ، وهذا كله يتصل بطبيعة الموضوع الذي يتحدثون عنه . ولذلك غابت صفات غابت صفات الانسان الممدوح الخاصة . وبرز ربط الممدوح بشخصيات تاريخية لها سابقة في الجهاد والقتال . على النحو نفسه لاحظ المؤلف بروز اتجاه الهجاء والرثاء ، سواء أكان ذلك متصلا بالاعداء ام الاصدقاء .

هذا الكتاب الموجز مفيد ماتع . ولو انصرف الى دراسة الشعر العربي في عهد الحروب الصليبية، وعزف عن تاريخ الحروب وعرض القصائد دون تحليل لها . وبيان لقيمتها الفنية ، لارتفع درجات كثيرة في سلم الامتحان النقدي .

ذكريات وأصداء

اعتقد ان ديوان ذكريات وأصداء للدكتور وليد قصاب ، الصادر عن النادي الادبي بالرياض ـ سلسلة كتاب الشهر ـ رقم ٢٢ ، هو الاول لمؤلفه السوري المقيم في السعودية . يضم الديوان ثلاثين قصيدة ، منها ست عشرة قصيدة على أوزان الخليل ، واربع عشرة قصيدة على التفعيلة . والواضح ان توزع القصائد بين النهج الخليلي ونهج التفيعلة يترجم رأي الشاعر في ان القضية هي قضية شعر لا قضية قديم وحديث . وقد سجل في مقدمة الديوان رايه الخاص بالخلاف بين انصار الشعر الخليلي وانصار الشعر الحديث . يقول في ذلك : « ان مقياس القدم والحداثة في حكمنا على الشعر مقياس خاطىء ضار يجب نفيه من الساحة النقدية نفيا تاما . فذات يوم تسلط مثل هذا المقياس على اذهان النقاد والعرب ـ وخاصة اللغويين والنحويين والرواة ـ فأفسد كثيرا من احكامهم ، اذ عد كل قديم عندهم مقدسا مختارا لقدمه ، وكل جديد مستهجنا مرذولا لمجرد حداثته ، وما نحب ان يعود اليوم هذا المقياس النقدي الرديء ليتسلط على أذهان نقادنا المعاصرين مرة ثانية » .

الواضح ان الدكتور قصاب يلتفت الى الصيغة الشكلية للشعر ويهمل الجذر الاساسي لاختلاف الفريقين . وهو جذر فكري،وموقف سياسي بالدرجة الاولى . وكانت قضية الخلاف في مراحلها الاولى تدور حول الصيغة الشكلية ، ولكنه تجاوز هذه المرحلة الى مراحل اكثر دقة . حتى ان احدث القضايا النقدية حول الشعر الحديث تقول ان شعر التفعيلة قد بلغ مرحلة الابواب المغلقة ، وان عليه تجاوز هذه الازمة والا فانه سيقع في مأزق الجمود والمراوحة في المكان . ويطرح هؤلاء النقاد قصيدة النثر بديلا جديدا ممكنا للخروج من أزمة شعر التفعيلة . وسواء اقبلنا هذا الراي ام رفضناه فاننا امام قضايا نقدية يطرحها شعر اليوم ، وهو مختلف جدا عن شعر الامس. وخير دليل على أن القضية ليست مقصورة على الصيغة الشكلية هو شعر الشاعر اليمني عبد الله البرودني ، فهو شعر يلتزم أوزان الخليل ، ولكنه متقدم جدا اذا وضعنا الخلفية الفكرية في حسباننا . ثم ان الموضوعية في الرأي لا تعني التعصب لفريق دون آخر، ولا تعني ايضا التمركز في منطقة وسط بين الفريقين، بحيث نروح نعدد سلبيات كل فريق وايجابياته .انها تعني ـ في الدلالة النهائية عرض وجهات نظر كل فريق ، وبيان الخلفيات الفكرية والفلسفية الكامنة وراءها ، سواء أكانت في وعي اصحابها ام كانت في المنطلق والجذر الاجتماعي لها . وعلى أية حال فالدكتور وليد قصاب محق في النية التي ينطلق منها ، وهي فقدان الحوار بين انصار الفريقين ، وضرورة التمسك بالحلول التي تعلي من شأن الفن الشعري ودوره الاجتماعي .

اما الديوان نفسه فيضم ـ كما اشرنا في البداية ـ ثلاثين قصيدة ، منها ست عشرة قصيدة التزم بها المؤلف اوزان الخليل ، واربع عشرة قصيدة تمسك فيها بالتفعيلة . والواضح ان المؤلف يميل الى اختيار بحور محددة ، ينظم فيها شعره . وهذه قائمة بالبحور التي نظم عليها قصائده الخليلية :

١ ـ الكامل : خمس قصائد
مجزوء الكامل : ثلاث قصائد
٢ ـ الهزج : قصيدتان
٣ ـ مجزوء الرمل : قصيدتان
٤ ـ الوامز ـ قصيدة

٥ ـ المديد : قصيدة

٦ ـ المتقارب : قصيدة

٧ ـ مجزوء الرجز : قصيدة

الملاحظ أن هناك اهتماما خاصا بالبحر الكامل في شكله التام والمجزوء على حد سواء . يليه اهتمام آخر بالبحور المجزوءة . والواضح بعد ذلك أن الدكتور وليد قصاب ميال الى الدوائر الشعرية البسيطة ، اذ لم أر له غير قصيدة واحدة من دائرة المختلف ، وهي دائرة مركبة . وضمن الدوائر البسيطة هناك ميل واضح الى دائرة المؤتلف (تسع قصائد في هذه الدائرة) ثم دائرة المجتلب (خمس قصائد في هذه الدائرة) ، ثم دائرة المتفق وفيها قصيدة واحدة ، وبذلك تشبه دائرة المختلف المركبة .

اما مضامين قصائد الديوان فالواضح ميلها الى الفنائية (الذاتية) . وهذا الامر ليس مأخذا اوميزة ، بل هو اتجاه ينطلق فيه الشاعر من اهتماماته الخاصة ، كالذكرى والحنين والغربة والحيرة والتردد عند الدكتور قصاب .. على أية حال فمن الامور الهامة الاطلاع على شعر هذا الشاعر السوري المقيم في السعودية .

المعارضات في الشعر العربي

صدر هذا الكتاب عن النادي الادبي بالرياض ، سلسلة كتاب الشهر (رقم ١٦) ، وهو للدكتور محمد بن سعد بن حسين . يضم الكتاب ستة فصول تأخذ على عاتقها مهمة دراسة هذا اللون الادبي في الشعر العربي بدءا بالعصر العباسي وانتهاء بأحمد شوقي في القرن العشرين ، مرورا بالمدائح النبوية ومقصورة ابن دريد ودالية الحصري ومعارضات البارودي ، وما الى ذلك .

يمهد المؤلف لكتابه بحديث عن مهمة الناقد الادبي الذي يتصدى لدراسة المعارضات ، فيرى ان « الحديث عن المعارضات حديث عن اعمال شاعرين فأكثر تناولوا موضوعا متماثلا او متشابها مما يجر الى وزن عمل كل منهم وتقويمه وقياس الاعمال بعضها ببعض لينظر ايها أجود لفظا واصدق تعبيرا واقوى تماسكا واغزر معنى واصدق عاطفة » . ثم يؤكد على ان « دراسة المعارضة يمكن اعتبارها نوعا من النقد ، كما يمكن عدها نوعا من الوصف ، اذ ان الدارس كما ينقد النصين وصاحبيهما ، كذلك يصف ما امتاز به كل واحد منهما وصفا يجب ان يكون دقيقا متقصيا . فعلينا ان نحاول الوصول الى اعماق نفس الشاعر وان نحيط بشيء مما يحيط به فنعرف جيله وبيئته ونوع ثقافة عصره لكي نصل من ذلك الى حكم صائب فيما نتناوله من اثر اللشاعر لكيلا نظلمه ولا نظلم انفسنا باعطاء حكم غير صحيح . اذ ان من الخطأ ان نطالب الشاعر بأن يرى الاشياء كما نراها نحن وان يأتي منها بما نريد » . « اما ما يجب ان يلاحظ ، بل أن تكون له الصدارة فيما يراعيه الناقد ، فهو طريقة التصور وادراك ما يتصور ، ثم كيفية ابراز نتيجة ذلك في عمل ادبي شعرا كان او نثرا » . على هذا النحو يتابع المؤلف حديثه عن صفات الناقد ، فينص على ضرورة الذوبان في الشخصية المراد دراستها ، والتجرد من الذات والاهواء والميول ، ونفي المؤثرات ، ودراسة حياة الشاعر وما يحيط به من ظروف واحوال ، ومعرفة البيئة التي نشأ فيها ، والمبادىء التي تشبع بها ، ونوع الثقافة التي تثقف بها . بعد ذلك يعرف المؤلف بمصطلحات كتابه وبخاصة المعارضات والنقائض .

المعارضات :

ان ينظم شاعر قصيدة او مقطوعة يحتذي فيها نصا لشاعر آخر ينسج على منواله . والغالب ان المحتذي لا بد ان يتوخى في نظمه الا يقصر دون المحتذى ، بل يعمل على ان يزيد عليه ويتفوق في صوره واخيلته ومعانيه ، وذلك لانه مقلد او متابع ومن المفروض فيمن يحاكي سابقا ان يتفوق عليه لكون الاول قد فتح له الطريق ومهده . ولا بد من التقاء النصين (المحتذى والمحتذي) في الوزن والقافية ، وليس من المفروض التقاؤهما في الموضوع ، وان كان الغالب اتحادهما فيه أيضا . ثم ان العادة جرت على ان يكون الشاعر على جانب كبير من الاجادة وحظ من المنزلة والريادة في فنه . ومن شأن المتأخران يتحرى مجرياته أو التفوق عليه ما وجد الى ذلك سبيلا .

النقائض :

ان ينقض الشاعر الآخر ما قاله الاول ، حتى يجيء بغير ما قاله . والاسم : نقيضه ، ويجمع على نقائض . وهي بحسب الاصطلاح الادبي : ان يتجه شاعر الى آخر بقصيدة هاجيا او مفتخرا ، فيعمد الآخر الى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا او نحو ذلك ملتزما البحر والقافية والروي الذي اختاره الاول . ومعنى هذا انه لا بد من وحدة الموضوع ، فخرا أو هجاء او سياسة او رثاء او نسيبا أو جملة من هذه الفنون المعروفة ، ان كان الموضوع هو مجال المناقضة ومادتها . ولا بد من وحدة البحر ، فهو الشكل الموسيقي الذي يجمع بين النقيضتين ويجذب اليه الشاعر الثاني بعد ان يختاره الاول ، ولا بد في الجملة من وحدة الروي وحركته .

على هذا النحو تختلف المعارضة عن المناقضة . ففي المعارضة موقف المقلد المعجب او المعترف ببراعة المتقدم ، ومناطها الجانب الفني وحسن الاداء ، ولا يلزم ان يكون المتعارضان متعارضين بخلاف المناقضة، وان اتفقا في التزام وحدة البحر والقافية والموضوع.

نشأة المعارضات :

يرى بعض الباحثين ان المعارضة واكبت الشعر العربي منذ أقدم عصوره . حيث يرجعون تاريخ نشأتها الى العصر الجاهلي ، ويعدون من ذلك ما جرى بين امرىء القيس وعلقمة الفحل حين تحاكما الى أم جندب زوجة امرىء القيس في قصيدتيهما اللتين وصفا بها الخيل . ثم نلاحظ محاولات معارضة القرآن الكريم ، وما جرى بين جميل بن معمر وعمر ابن أبي ربيعة ، وما كان بين نصيب والفرزدق من ملاحاة ومنافرة ومناظرة . ثم تأتي معارضات الفرزدق للامية كعب بن زهير « بانت سعاد » ، ومعارضة الاخطل لها ايضا . وهذا كله يشير الى ان المعارضات بمفهومها الفني قد وجدت في العصر الاموي . وقد ساعدت ضعف السليقة العربية في العصر العباسي على الاقبال على المعارضات ، لان الناس راحوا يتعلمون تثقيف السنتهم وتهذيب لغتهم برواية اشعار العرب ومحاكاتها والنسج على منوالها . على أن مهارة شعراء العصر العباسي جعلتهم يخرجون اعمالهم التي يقلدون فيها السابقين مخرجا جديدا ، كما نرى عند مروان بن حفصة وأبي تمام . ومن الواضح ان عددا من شعراء هذا العصر قد ساهموا في المعارضات ، كالبحتري وأبي فراس الحمداني والمعري وابي نواس والمتنبي.

وقد جارى الاندلسيون العباسيين في المعارضات، وحاولوا اللحاق بهم مترسمين خطاهم . فقد عارض ابو الحزم بن جهور ابن الرومي في قصيدته التي فضل فيها النرجس على الورد . وروى ابن خلكان ان المنصور ابن أبي عامر أمر ابن دراج القسطلي ان يعارض قصيدة أبي نواس التي مدح بها الخصيب بن عبد الحميد، وأولها :

اجارة بيتينا أبوك غيور
وميسور ما يرجى لديك عسير

فعارضه بقصيدة منها :

الم تعلمي ان الثواء هو الثوى
وان بيوت العاجزين قبور

اما العصر المملوكي فهو عصر المعارضات . وقد أمسى البوصيري علما في ذلك ، ومثله صفي الدين الحلي الذي عارض المتنبي وابن المعتز ، كما عارض بشامة بن حزن النهشلي في قصيدته المشهورة :

انا محيوك يا سلمى فحيينا
وان سقيت كرام الناس فاسقينا

وان دعوت الى جلى ومكرمة
يوما سراة كرام الناس فادعينا

عارض صفي الدين الحلي هذه القصيدة فقال :

سلي الرماح العوالي عن معالينا
واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

وسائلي العرب والاتراك ما فعلت
في ارض قبر عبيد الله ايدينا

لقد شاعت المعارضات في العصر الحديث ايضا على يد البارودي وشوقي وعلي الجارم واسماعيل صبري وغيرهم ، حتى ان بعض النقاد قسم شعراء

العصر الحديث الى ثلاثة اقسام : المقلد والمحافظ والمجدد . كما شاعت المعارضات في الشعر الحلمنتيشي الذي ظهر بمصر وكان خليطا من الفصحى والعامية .

يلتفت المؤلف بعد ذلك الى المدائح النبوية واشهر معارضاتها لا يتوقف عند قصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد » ، وقصيدة البردة البوصيري . ثم يخصص وقفة اخرى لمقصورة ابن دريد ودالية الحصري ، ومعارضات البارودي وشوقي لابي نواس وابي فراس والشريف الرضي وابن النبيه . ثم معارضات شوقي للبوصيري واين زيدون والبحتري وابي الطيب الرندي والحصري وابن سهنا . ويختتم كتابه بخلاصة عن أثر المعارضات في اللغة والادب .

ميزة هذه الدراسة الادبية تاريخية بالدرجة الاولى . فقد عني المؤلف فيها ببيان نشأة المعارضات وتطورها بين العصور : جاهلي ـ اموي ـ عباسي ـ اندلسي ـ مملوكي ـ حديث ، محاولا في اثناء ذلك الاشارة ـ ما وسعه الجهد ـ الى حال المعارضات في العصر الذي يذكره ، ثم كانت له وقفة خاصة عند المدائح النبوية ومعارضات البارودي وشوقي ومقصورة ابن دريد ودالية الحصري . ومن الواضح ان اتساع الرقعة الزمنية للدراسة قد اضر بها من حيث رغب المؤلف في توثيق هذا اللون الادبي . ذلك انه كان مضطرا للاشارات السريعة يغطي بها حال المعارضات في العصر الذي يأتي على ذكره . ولو التفت الى عصر واحد دارسا محللا ناقدا للمعارضات التي عرفها ، واوجز القول في تطور المعارضات خلال العصور السابقة عليه لجاء الكتاب اكثر دقة وفائدة . ويبدو ان اتساع الرقعة الزمنية قد اثرت في المنهج الذي اختطه لنفسه ، وهو منهج يقوم على المقارنة بين القصائد المتعارضة . ولذلك وضح صفات ناقد هذا اللون من الشعر ، وجهد في التأكيد عليها ، ولكنه لم يستطع تنفيذها . ففي اثناء ايراده قصيدة شوقي التي رثى فيها عبد الحميد يورد اعجابه بها ، ولكنه حين يورد معارضة ولي الدين يكن لها يعلق على ذلك قائلا : « انا لا نستطيع ان نتصور منه ، او نسمع اكثر مما قال ، اذ انه ينتمي الى فئة حانقة على الخلافة الاسلامية ، حاقدة على الاسلام ، على انه في اسلوبه والفاظه استطاع ان يدنو من جو شوقي ، وان يجاريه في آفاق صوره وتعبيراته » . يقول المؤلف هذا الكلام غافلا عن انه ذكر التالي : « وما الموازنة في حقيقة امرها الا نقدا . فالتجرد من الذات والاهواء والميول ، والاقبال على النص او الشخصية المدروسة دون التأثر بأي مؤثر امر لا بد من التأكيد عليه ، فاذا لم يستطع الناقد ان يكون كذلك فان نقده يكون حينئذ لا قيمة له » . أليس في هذا تناقض واضح؟!! مثل ذلك نراه حين يذكر تقسيم احد النقاد لشعراء العصر الحديث (مقلد ـ مجدد ـ محافظ) . فهو يرفض اعمال المجددين قائلا : « واعمال الفئة الثالثة لا تصلح في نظرنا لان تكون موضع دراسة ، اذ لو حكمنا فيها معايير الشعر العربي كما نفهمه ما خرجنا منها بشيء » . ثم ان المقارنات نادرة جدا في الكتاب . ففي الصفحات الثماني والاربعين ومائة لا يجد المرء غير ثلاثة امكنة فيها مقارنة عرضية بين قصيدتين متعارضتين . وهذا هو سبب قولنا ان ميزة الدراسة تاريخية بالدرجة الاولى ، لانها جمعت في مكان واحد بين العصور المختلفة ، ووضحت حال المعارضات فيها ، وهذا أمر لا يستهان به في اية دراسة جادة لموضوع جديد .

● سمر روحي الفيصل

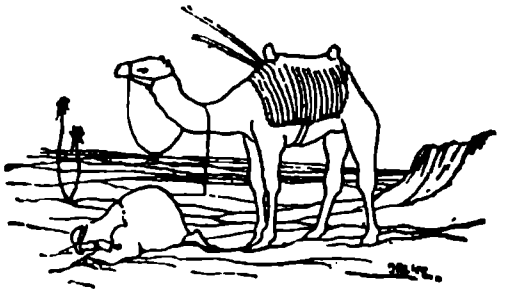

طيفـــان

للشاعر: حامد حسن

الى روح صديقي الدكتور محي الدين مرهج

طيفان : طيف أبي ، وطيفك سلما ... لولاهما لا أشتهي أن أحلما
نزلا على جفني ، ثم تسربا ... وتوزعا في كل جارحة دما
هزيء الدجامني ، وأجفل ساعدي ... لما ضممت كليهما متوهما !!
طيفان في كبدي ، وفي جفني ، وما ... اشهى ، وما أحلى ، وما اندى ،وما.
عبثا بكل جوارحي وعواطفي ... ما حيلتي وهما أنا ، وأنا هما ؟؟

★ ★ ★

يا ظاعنا عني ، وما ودعته ... هلا تباطأت الظعائن ريثما ...
أنا ما علمت ببعض ما عانيته ... ما أين لي ؟ من أين لي أن أعلما ؟
وأنا الحزين وان تضاحك ثغره ... واذا تماسك دمعه ، واذا همى

★ ★ ★

هل تذكرن غداة زرتك عائدا ... وأبى الطبيب عليك أن تتكلما
طلع الصباح صياح وجهك باهتا ... متجهما ، وعهدته متبسما !
أنا والطبيب مع الاسى في غرفة ... نزل القنوط بها ، وطاف ، وخيما
خبأت بين أضالعي حرقا ، ولو ... غادرن أضلاعي حرقن الانجما !

★ ★ ★

يا مـــن أدار عيونـــه فتثاقلت ... وأراد بعض حديثـه فتلعثما !!
فحرمت حتى نعميـات حديثـــه ... ومن المرارة والاسـى أن أحرمـا
أو ما ترى الغصص المريرة مزقت ... صدري ، وضج به الحنين ، فغمغما
أشعلت كـل جحيم نار في دمـي ... حتى استحال دمي ، وصار جهنما!!

★ ★ ★

هـل تذكرن وما اخالك ناسيـا ... عهد الصبا الحالي وكيف تصرما ؟؟
والمجـد كل المجد في غلوائـه ... في ظل بيت ابيـك خيم ، واحتمى
بيت تجـاوز في توثبـه المدى ... فاذا نزلت بـه سموت على السما!
ومضيت تنتعـل النجوم الى العلى ... وقد اتخـذت حبال شمسك سلما

★ ★ ★

لا تعبـأن اذا تثعلب حاسـد ... واذا تنكب قوسـه ، واذا رمى
أنا لا أضيق بحاسـد ، وعتابـه ... عندي وعندك أن نعف ونحلمـا
فالعين يرمدهـا الضحى متوهجـا ... وتكون أقرب ما تكون الى العمى

★ ★ ★

وأبيت أن ترد السياسـة منهـلا ... متغيرا ، كدر المـوارد ، علقمـا
ورأيت انسان السياسة دميـة ... وأبى إباؤك أن تكون من الدمـى
يمتـاح عطفهم ليحرز منصبـا ... ويبيـع عزتـه ليقبض درهما !

أنا ما عملت لها ، ولم أعمل ، ولو ... خضت الغمار غمارها لن أهزما
مهما تبرجت البغي فحبها ... يبقى على المتعففين محرما !
قالت لكل مسائل عني : لقد ... راودته عن نفسه فاستعصما

★ ★ ★

عشق الطبيعة جدولا وخميلة ... ورأى ابتسامة كل سوسنة فما
وترشف الشفق المضرج ، واغتنى ... فيه عن الشفة الخضيبة ، واللمى
حسب الطبيعة ان تكون عشيقة ... حينا ، وملهمة تغازل ملهما

★ ★ ★

نشر الشراع على الخضم ظلاله ... ومضى ، فصادف عاصفا ، فتحطما
فاذا تنهدت التلال عطورها ... واذا تهامس جدولان ، وتمتما
واذا انسكبت رشاشتين من السنا ... وطلعت في شفة الازاهر برعما
ورمى بك الشلال أغنية على ... سمع الدجا ، وأعادها مترنما
واذا استحلت خميلة لا تنتهي ... من موسم الا لتطلع موسما
لا تبخلن علي بالطيف الذي ... أسكنته بدل الجفون الاعظما
لا يرتمي وهنا على جفني ، وان ... هدأ الدجا ، واحمد عشر الليل ارتمى

★ ★ ★

نم مطمئنا فالقضية في يدي ... حام يزود عن العروبة والحمى

الديكيش ● حامد حسن ●

هـــدأ السّـلاح

نجم الدين الصالح

في تأبين الشاعر المعروف المغفور له الاستاذ أديب الطيار

هـدأ السلاح ، ولم يعـــد ... يا (برج) يعنيـك الســلاح
وأديب مـــات ، فـلا سنـــا ... ن عـــلى القتـــام ، ولا جنـاح
جف الشراب فكيف يصبـي ... الليـــل وجـد ، والتيـــاح
ونـأى الشبـاب فكيف يا طيا ... ر يختـــزل الصبـــاح
علمت هـــذا الجيـــل كيف ... تنضـــد الغـــرر الملاح
ومتـــى تصـــد العبقريـة ... شمسهـا ، ومتى تتـــاح
وتثـــرت خلفهم الاقـاح ... فنـــم بالالـــق الاقـــاح
مـن قال : ان ستـــار ... معجـــزة البلاغـــة لا يـزاح
مـن قـال : ان المستحيـل ... أمـام زخمـك لا يبـاح
من قـال : يا خـــدن العـــلا ... تجـري بســا تهـوى الرياح ؟
كـــذبوا فنحـــن هنـــا ... السفينـــة ، والمشيئـــة والريـاح
كـــذبوا فنحـــن هنا الطمو ... ح اللغز ، والقـدر المتـــاح
الشعـر والرحـــن تـــوأم ... فتنـــة وشـــذى وراح
وجنـــاح الهـــام يرد ... سمـــاط لؤلؤه جنـــاح
فـلم استبـاح الخلد مـن ... صنويـــه ما لا يستبـاح
للسيـــد النعمى ، وللفكـــر ... التمـــزق والكســـماح
أو لم يحـــن يا لعبـــة الاقـــدار أن يثنـــى الجماح
أو لـم يحـن أن يستعيـــد صوابـــه هـــذا المـــزاح

هـــدأ الســلاح ، ولم يعـــد ... يا بـــرج يعنيـــك السلاح
وأديب مـات : فـلا سنـــا ... ن عـلى القتـام ، ولا جنـاح
تعب الكفـاح ، ومـل مـــن ... كـــل المعايـــير ... الكفـاح
وأشـاح مـن كـل المنابـر ... والاذاعـــات الكفـــاح
لم يبـــق للاعصـــار ارزام ... هنـــاك ولا اجتيـــاح
فعلى م يمتـــد التســـا ... ؤل والتمـــزق والصـداح
والـى م يعـــدو الملهمـــون ... ،، وليس حـولهم جنـاح
كـم ناضلوا في الصخـــر ... في القـدر البهيـــم وكم أشاحوا
كـم مزقـــوا الاصفـــاد ، وانهـارت زعامـــات وقـــاح
كـم قيـل للمحتـل لا تفعل ... فقـــد سقط الوشـــاح
.. واليـــوم ... كـــل الذكريـات شجـــون بـــرق واجتراح
واليـــوم يا وطنـي الكبـير ... ويا حصـــون هـــوى تبـاح
اليـوم لا هـــــدر اللهيب عـــلى الصفـــاح ولا صفـــاح
الشهـب في ذي قـــار في ... أم القـرى شهب شحـــاح
وخيـــول طـارق في المضيـــق ، ولا نفـــار ، ولا جمـــاح
ومضـــارب اليرمـــوك يعـرض عـــن تطلعهـــا صـلاح
فهـــل استحـــال الشيء غـير الشـيء هـــل هـدأ النفـــاح
وهـــل انضـــوى الخطب الحرون ،،، ولات خلف القـــوم ساح

● ● ●

يا شاعـر العنت الرفيـــع ... ألا تطالعـــك الرمـــاح
أو مـــا كعادتهـــا تهيب بك ... الامانـــي الفســـاح
وطيـــورك السمر المنمنمـة ... القـــوادم والاقـــاح

انـــي برمت بكـــل ما تركت ... عـــلى الحرف الجـــراح
وبـــكل مـــا قـــال الغـــدو ... وكـــــل ما قـال الرواح
حيث التطلـــــع للمكاسب ... والمـــــآدب ، والطمـــاح
حيـث الكفـاح عـلى المقاطـع ... غـير ما رســم الكفـــاح
حيث الصـراع على رماد الكبر ... ذل وانبطـــــــــــاح
فمتـى يعـود لنا اللقـــاء ... مـــع العـــلا ومتـى يتاح
ومتـى تصحـح درب احـــــلام العـــلا تلـك الصحـاح
يا وحـــدة شلت قوادمهـــا ... وطـــال بهـــا الرزاح
يا وحـدة ماتت عـــــلى اعتا ... بهـــا الفـــرص الوضـاح
وبكت دمـــوع النيـل مـــن أسرارهـــا ما لا يبـــاح
حيث الرمـــاح تنوشهـــا ... وتمـــوت في يدهـــا الرماح
حيـث العميـــل يقـوض الاهرام ...، والعـــرض المبـــاح
حيـث الصـــروح الشـــم ... كـل الشـم ذل وانفتـاح
فخـــذي اليـــك جناحهـــا ... يا شـــام ان عز الجنـاح
وتنسـمي عطـر الكنانـــة ... كلمـــا ذكـت الجـــراح
فلكـم بكت في خدرهـــا ... حسنـــاء ، والتاعت مـــلاح
ولكـم نزت نار الضـلوع ... وجرجـر القـــدر المتـاح

• • •

انهـــد بطرفـــــك يا أديب ... فقـــد تصالبت الريـــاح
أنسيت يـــوم النصـــر : ... يـــوم عـلى الشموس لنا وشاح
وظـــلال ناصـر في فجـاج ... الارض أغنيـــــة وراح
والوحـــدة العربيـــة السمراء ... أغنيـــــــــة وراح
ومـــواكب القطـرين ارزام ... وزخـــم واجتيـــاح

أنسيت كيف سموا بوحدتنا وكيف بهـــا أطاحـــوا
ومـــع العمالـــة كيـــف طبعت العلاقـــة والجناح
فعـــلى طحالبهـــا يشير نقيقـــه زيـــر وقـــاح
وعـــلى الطحالبات يستـــاح المـــلوك بهـــا امتيـــاح
وعـــلى الطحالب ساريـــات الكـــرخ ، والرقص السماح
لـم يبـــق الا شامخـــا ... في الشـــام رمز واصطـــلاح
وهـــو يرجـــرح في الضـــلوع وهمس ســـر لا يبـــاح
فتضوعـــي يا قبـــلة الاحبـــاب : حيث هـــم أشاحـــوا
تطلعـــي يا ســـدرة الشعـــرى : فمـــا عقـــم الصبـــاح
فعســـى يقـــود النصـــر ثانيـــة عـــلى الدلتـــا الصباح
وعســـى عـــلى القدس السليب تعـــود للفتـــح الجـــراح
.. وعســـى فهـــذا يا رفيـــق الدرب مـــا أبقت سجـــاح
ألحـــان رواد تـــلوب على ضلوعهـــم ... البطـــاح
ورجـــاء رواد تشب عـــلى جراحهـــم ... البطـــاح
يبكـــون والنجـــادة الاعلون قـــد ولوا رواحـــوا
لـم يبـــق الا شامخـــا في الـــام رمز واصطـــلاح
وملثـــم تزهـــو بوقفتـــه البيـــارق والرمـــاح
فأهـــدأ فلـــن يقف العبـــير ، يســـل الهـــدر ســـاح
سيظـــل خلف جـــدارك المهجـــور بـــوح وانفتح
وعلى الكـــوى سيظـــل يا تـــرب الهـــوى هـــذا الصداح
وعـــلى الكوى سيظل يلحف بالجـــوى هـــذا الصداح

● نجم الدين الصالح ●

النجم المسافر

ابراهيم منصور

القيت في الحفلة التأبينية الكبرى للاديب المربي (اديب الطيار) في صافيتا .
في أواسط الثلاثينات كان الفقيد الكبير استاذي غرس بقلبي حب الحرف حب الوطن فالى روحه اقدم هذه الباقة من حدائقه .
(ابراهيم)

لا تسألي أين المسار ... لا كيف ؟ شط بنا المزار
غرد تعشقه السفار ... غنى ملاحمه وطار
نجم الهي السنا ... القى منائره وغار
اين الاحبة ؟ والمدى ... أضحى لحظوتهم دثار
أين الاحبة ؟ لم اجد ... في لهفتي الا الشرار
وبقيت أجتر الصدى ... واعب من جرحي الجرار
جرحي الثخين كتمته ... عمقا تمرد فاستطار
أدب الجراح اذا سمت ... ان لا يمر بها الجهار
وتلفت القلب المشوق فلا لميس ولا نوار
لا نجد في مرمى الجفون ولا شميم ولا عرار
وشراعي المسكين في شدق العواصف والبحار

● ● ●

من تقرع الاجراس في ذكراه ترتيل انتصار
ذكراه نصر للبقاء على الفناء ولا فخار
يا برج ! يا مهد النسور الشم يا عالي النجار
من ها هنا انبثق الشعاع وها هنا غنى الهزار

لا يـــدع ان حـج الفـــؤاد الـــى هنـــا ورمى الجمـار
سل عنـــه أقيـــاد الدخيـــل وسـل حـراب المستشـــار
صفعت جراحـــك كبـره فتساقطت تلـك الشقـار
ودعـــى بان الجبهـــــة السمـــراء اعصـــار وغار
عطـــــر الرجـولة بالمصاعب لا بتفجـــير الغبـــار
بـــين الرجـــولة والخـلود بموطنـــي ابـــدا حوار

● ● ●

في مزود الالـــم المقـــدس عشـــت يـا عف الازار
لا مـــال في الدنيـــا جمعت ولا حطـــام ولا عقـار
أيســـرت حرفـا مشرقـا وكـذاك يلتمس اليسـار
فتنتـــك حسنـــاء المعالـمي لا لمـــى ذات الخمـــار
يـا حب سقـراط الحقيقـة حـين فكـــر ثـم ثـار
يا رفض ارباء الحطـام كمـا استبـــان فتى غفار
يا بسمـــة الطفـل العظيـم يكـــغ في جـوف المغار
تلـــك اللآلـــي مـن ثـيرك لا العقيـــق ولا النضـــار
تلـــك اللآلـي مـــن نظيمك كـــل أشـــواق المحـــار
فلـــرب حسنـــاء اشتهت منهـــا القـــلادة والسـوار

● ● ●

أحببت فيـــك الفعـــل سبـــاق المباديء والشعـار
أحببت فيـــك الفكـــرة العذراء مـــن نـور ونـار
وأعـــرت جفنـك للصبـــاح ولا يـــلام اذا استعـــار
هـــاك : السنابـــل أثقلت وتفتحت زحـــم الثمـار

كـــل المواســـم اعلنت مـــن صـــدرك الحاني البذار
شسمـــان : روحـــك بالعطـــاء وشمس رابعـــة النهـــار

● ● ●

مـــن كرمـــك المسحـــور أدمانـــي فقـــدست العقـــار
وصلبت في جفنـــي اليبـــاس فـــكل أحلامـــي اخضـــرار
وبرزت في ذاتـــي الشمـــوس وكنت مـــن ذاتـــي المدار

● ● ●

سمرت رسمـــك بؤبؤي وجعلت اجفانـــي الاطـــار
اقلعت مـــن جفنـــي ضحى لتحط في قلبي المطـــار
ابدأ فضـــاؤك جانحـــي ان كنت او كـــان الشرار
انـــا مـــن عرفت صميمـــه وخبرت حـــالا ودار
أنـــا ذلـــك الملاح تساه وجفنـــه رهـــن المنـــار
مسـخ الزمان بشرعتـــي مـــن لا أنـــار ولا استنـــار
للمـــوت اشبـــاه الرجـــال تجلببـــوا خزيـــا وعـــار
اتخذوا هـــواهم عجلهـــم عبدوا بـــه حتى الخوار
والقـــدس ! محـــراب السماء يئـــن في فـــك الاســـار

● ● ●

طوبـــى لـــذاك المـــارد الجبـــار جيش الانتصـــار
وفتـــاه قائـــدنا الحكيـــم الحافظ الحامـــي الزمـــار

● ● ●

قلبـــي عـــلى شفتي هنـــا حرف أقدمـــه اعتـــذار
حسبي بانـــك خالـــد مدمـــاك ذيـــاك الجـــدار

● ابراهيم منصور ●

مـــا الشـــعر ***

شعر: شكيب تقي الدين

قصيدة من وحي ديوان (يا ليل) وان جاءت مدفوعة بعامل النقد فهي تقريظ يتلمس مكانا وضيعا صادقة من قلب يحب الصدق .

ما الشعر يا صاح وكيف استحال
جنيـــة يفتـــن فيهـــا الرجـــال
ان الهمت اشفت وان اينعت
نصت عـــلى النجدين معنى النضال
ما زلت انســانـــا بأشـــواقـــه
أنســـل من احدى ضلوعي سؤال
قـــد ضـــج في صدري طويلا ولم
يلق جـــوابا مستفيضـــا لحـــال
فرف كالعطـــر الـــى نسمة
شعريـــة مـــن نسمات الجبـــال
يسألهـــا عن هارب في الدجـــى
أودع فيـــه لمســـات الجلال
في ليـــلة لا أمس فيهـــا ولا
معنى لآت يستفز الخيـــال
أجابت النســـمـــة يا شاعـــري
ان يغـــدر الظل فشيء محـــال
فالظل لـــون الشعـــر في جنـــة
أرقصهـــا الفـــن البريء الحلال
عـــلى لحون الشوق ثم مضـــى
يعلل الوصـــل و عز الوصـــال
فاسترحم الارض التـــي انبتت
ما في السمـــوات عزيز المنـــال
والحب ألا تـــدرك المنتهـــى
والشعر همس لرفيف الظلال
كلاهمـــا ســـر وما فيهمـــا
دام وشاف قصص في الجمال
وان سمعت الارض تبكـــي فلا
تحسبهـــا قـــد آذنت بالزوال
أغرقهـــا نـــوح ولما بكت
اطلعهـــا جنيـــة ثم قـــال
هل تشـــرق الشمس عـــلى أبحر
لا مـــوج فيهـــا لحرير الرمال ؟.

سان بولو ١٦-٦-١٩٨١.

● شكيب تقي الدين ●

ليلة العمر

شعر: د. محمد أنور الزعيم

« قصيدة ليلة الزفاف »

ما أجمل الليلة يا فاطمه ... كأنها أغرودة ناغمه
دافئة كالحلم أو كالمنى ... مسكرة كالنشوة الدائمه
يتيه نور البدر من حسنها ... والشهب الفتانة الناسمه
وترقص الدنيا على لحنها ... وتشرئب الزهرة الفاغمه

★ ★ ★

واذ تسيلين على مرفقي ... في غفوة ناعمة ناعمه
هادئة كالبدر في أفقه ... وديعة كالقطة النائمه
أفدي بروحي قبلة حلوة ... تجن فيها الشفة اللاثمه
ويغرق الثغران من سحرها ... في سكرة طاغية عارمه
وتسبح الروحان في نشوة ... عليا وفي غيبوبة حالمه
ويلتقي الشوقان بعد النوى ... في لهفة محرقة جامحه

★ ★ ★

ما أجمل الليلة يا فاطمه ... كأنها أغرودة ناغمه
ونحن فيها نشوة حلوة ... هيمان لاقى في الهوى هائمه

حلب ـ الدكتور محمد انور الزعيم

عاطفة امرأة بين الحب والحرب

للشاعر: عبداللطيف الملوحي

عجـــاب صـــدودك بعد الرضى ... الم تقسمـــي اين اين القسم ...؟
الست التـــي ملكت خاطـــري ... ومـــن الهمتني وحـي القلم ..؟
نسيت تحالفنـــا في الظـــلال ومـــا كـان مـــن أمسنـا المنصرم
كأنـــك لم تمنحيني الوصـــال ولم تسمعيني عـــذب النغـــم ..؟
ظلمت فـــؤادي يا غادتـــي ... ومـــا انت اول مـــن قد ظـــلم
سأخطب ودك طـــول الزمـــان ولو صـــرت رهـــن البـلى والعدم
حـــرام عليـك اذا ما هجـــرت واججب في النفس نـــار الالـــم

★ ★ ★

اجابت وقـد ضـج منهـا الفـــؤاد كـــأن الحميـــم به يضطـــرم
اريـــدك فـــوق الشعور النبيـــل عظيـــم الجنـاب جليـــل الهمـم
الست سليـــل بنـي امـــة ... تسامت الـــى المجـد منذ القـدم
تعـال الـــى الله يا فاتنـــي ... نكفـــر عـن طيشنـا بالنـدم
ونتبـــع آثـار قـوم سمـــوا ... وكانـوا الحمـاة لاسمـى عـلم
غريب ملامـــك يا مأمـــلي ... اترقص والنـاس غرقى بـــدم
أتشكـــو الفـرام وهذا الصـــراع يبيـــد الشعـوب ويفنـــي الامم
هـي الحرب منذ الزمـان القـديم عجـــوز البـــلايا وبنت النقـــم
تثـــور وتـــودي بنـــا للهـــلاك وتقـــذف نيرانهـــا والحمـــم
فيسفـك فيهـــا دم الابـــرياء ويقتـــل فيهـا رجـــال الهمم

★ ★ ★

بربـك عـد بعـد ان ينتهـــي ... صراع الشعـوب ويرجى السلم
هنالـك اعطيـــك ما تشتهـــي ... ونرجـــع عهـدا مضى وانصرم
فان مـن العـار ان نلتقـــي ... لبث غـرام وتقبيـل فـــم
وتلك الشعـــوب تلاقي الحتـوف وتسبـح في لجج مـــن الـــم

● حمص ـ عبد اللطيف الملوحي

في ذكرى أربعين فقيد الشام العلامة المرحوم

محمد أبي اليسر عابدين

قالوا هوى صرح الشآم العالي ... وطوى الردى علامة الاجيال
قلت الفضائل لا يغيبها الثرى ... ان غاب ذو الانعام والافضال
والعطر لا يبلى شذاه وقد ذوت ... أزهاره والغصن عود بال
والنور ان تحجبه سود غمائم ... فبغيثها متنفس الآمال
الله أكبر والخلود لسيرة ... حفلت بآيات التراث الغالي
من للمنابر يعتلي صهواتها ... يا فارسا جلى بكل مجال
في الدين ألبسه الاله مهابة ... فغدا علي القدر دون تعال
في العلم كان لنا منار هداية ... فمحا ظلام جهالة وضلال
واذا تحدث كان خير محدث ... بطلاقة وتواضع وجلال
فكأنه في علمه موسوعة ... خلدت فأضحت مضرب الامثال
يا أيها الشيخ الذي أفتى الورى ... بفرائد من صائب الاقوال
ما ضن من يفدي وان عز الفدا ... فخر الرجال بروحه والمال
لكن حكم الموت أمر مبرم ... يسري على الدنيا بغير جدال
فالعفو منك اذا وقفت مودعا ... بتلعثم مني وضعف مقال
والصفح أرجو ان هفوت فليس لي ... قلم كمثل يراعك السيال
فالمرء يغريه التسامح ان رأى ... قلبا كبيرا من أب مفضال
فاطمع بحلم ذوي المكارم واغترف ... من منهل العلامة السلسال
واقصد كبير القوم واطرق بابه ... يفتح بلا من ولا تسآل
واقهر عدوك في الرباط تعده ... فالقدس تذبحها يد الانذال
فالحق يؤخذ بالصوارم والدما ... فاضرب بسيف الحق باستبسال

واحمل على الباغي وفرق شمله ... والنصر يحلو بعد مر قتال
والزم لنفسك في حياتك موقفا ... واجهر بقول الحق غير مبال
فالعيش لا يزهو بغير مواقف ... تضع الرجال بمستوى الابطال
يا راحلا عنا كأنك بيننا ... تروي حديث المصطفى والآل
وتوجه الابناء للتقوى وهم ... في عنفوان المارد المختال
فاذا هم طوع البنان مرونة ... وصلابة بضراوة الرئبال
ما مات من وسم الحياة بميسم ... متميز بجلائل الاعمال
ان الرجال حياتهم لا تنتهي ... بنهاية الاعمار والآجال
هم يرجلون وذكرهم بين الورى ... باق يخلدهم على الآزال
فعزاء من فقدوك انك ماليء ... دنياهم حمدا وطيب فعال
شتان ما بين المورث أهله ... ذوب الحجا ومورث الاموال
فالعلم ليس بزائل بين الورى ... ويزول عنك المال أي زوال
ما مات من أبناؤه حثوا الخطى ... نحو الكمال بلا ونى وكلال
ان الامامة في الاصول قمينة ... بتعاقب ، لنجابة الانجال
فالليث سيد غابه فاذا قضى ... آلت سيادته الى الاشبال
لا دق قلب للسحب اذا سلا ... ذكر الاحبة بعد شد رحال
لا رف طرف لا يرى أحبابه ... الا ذوي جاه وقدر عال
ان المحب هو الذي لا ينثني ... عن حبه في الحل والترحال
فمن المروءة أن يظل وفاؤنا ... مزنا هتونا دائم التهطال
لك شعلة أبد الزمان مضيئة ... درب الورى بتقى وطيب خصال
فاهنأ بشوى الخالدين منعما ... واسعد بخير مثوبة ومال
فالنهج نهجك في المكارم والتقى ... والجمع نساج على المنوال

اللواء المتقاعد عبد المجيد تجار

ابو نواس بين الرمزية والسخرية

محمد علي اسماعيل

تمهيـــد :

كثيرة هي الدراسات التي تضرب أعماق التراث العربي تلك التي يتوخى القارىء ان يجد فيها شفاء لتساؤله ومقيلا لمطيته ليجلس في ظل حقيقة خلدت اليها نفسه وأطمان اليها قلبه بعد مشقة طويلة وكثرة عناء .

لكن ما اكثر الدراسات النقدية واغزرها تملأ صفحات مجلاتنا وجرائدنا اليومية منها من تنكب جادة الصواب ومنها غير ذلك ولكن ما هي الطروحات الاكثر موضوعية في هذا المجال لدراسة التراث العربي دراسة اقرب الى الموضوعية وابعد عن تلك الدراسات النفسانية التي تعتمد الاسلوب العلمي الجاف في تحليل وتصوير واقع معين ؟ تلك الدراسات صاحبة القوالب الجافة المصنعة التي يحاول بعض نقادنا الاتكاء عليها لتفسير واقعه معينة في هذا التراث . نحن احوج مانكون في هذه الدراسات لاحياء الماضي احياء تاما وبعثة من جديد بكل موضوعية وواقعية ولو ادى ذلك الى هدم مجموعة من الاركان والقواعد الاساسية الذي اصبح مجموعة من القناعات المسلم بها في اذهان السواد الاعظم من شعوبنا الشرقية .

اقول هدما للقواعد لكن ماهي وسيلتنا في ذلك ؟؟

لابد من ان تكون وسائل مشروعة علمية تعتمد روح البحث العلمي وتتقفى صلب الحقيقية من خلال آثار الماضين التاريخي ووثائقهم المتناثرة . هنا وهنالك في كتب التراجم والتاريخ والاجتماع..

لقد كثرت في الاونة الاخيرة الدراسات النفسية وكثرت مدارس التحليل النفسي وتعددت اشكال الوجودية ومعانيها لدى الكثير من الفلاسفة الغربيين خاصة تلك الفلسفات التي تعنى بتحليل النفس الانسانية الى مجموعة من النزوات والرغبات الظاهرة والباطنة التي لايمكن ادراكها بواسطة العقل الظاهر بل هي خفية مستورة في طيات العقل الباطن واليها تعزى الكثير من تصرفاتنا . ان ذلك كاد يصل الى علم تجريدي محض فلا غرور لاملام . لكن الخوف يكمن في ان بعض نقادنا راح يعب من هذه الدراسات على تعدد مذاهبها وتناقضها مع بعضها احيانا راح بعض نقادنا بالتهام ماأتسعت معدتهم من ذلك العلم وجاؤوا ليفترشوا التراث العربي ويخرجوا من بطونهم عصارة غثيان على موروثنا الثقافي والتاريخي محاولة منهم دراسة الوقائع التاريخية التي لم يتوصل الى حقيقتها المقنعة حتى الان كبار نقادنا . لقد درسوا بعض شعرائنا بالوسيلة هذه شاء هؤلاء الشعراء ان يرتدوا هذه الجبة ام ابوا . لقد اقتيد ابو نواس من قبره وجيىء به شر جيئة للمثول امام هذا المخبر النفسي

ليدلي باعترافاته التي هو اليها منكر وسيبقى الى نهاية الازل . فاعترافاته كانت تؤخذ تحت ضرب السياط . وكما حدث لابي نواس حدث لبشار وغيرهما ارجوا لاتكون مجحفين بحق احدمن النقاد نقول البعض وقد يكون هذا البعض نذرا يسيرا لكن احببنا التنبيه الى هذه الظاهرة التي يخشى ان تغزو نقدنا العربي ولانظن ذلك لان نقادنا على درجة عالية من الوعي والدراية بحقائق الامور .

● ابو نواس ذلك الرجل الذي مازالت تتقاذفه الايدي وتارة الارجل في جميع الاتجاهات الى غير مستقر له ولا أحد من اللاعبين قد ادخله في شباك الحقيقة والموضوعية على رايناغير دراسة اخيرة موفقه من قبل الناقدة السورية الدكتورة احلام الزعيم التي اظنها قد أشارت على حقيقة ابي نواس اشارة علمية مقنعه وسنعود الى دراستها في مكان لاحق من هذه العاجلة السريعة .

ماأكثر المقولات التي تعرضت لابي نواس منذ القديم وحتى يومنا الحاضر من كتب التراجم والتاريخ القديمة التي تضاربت فيها الاراء والوقائع وتلاقت الروايات في هاتيك الكتب ايضا حتى وقتنا هذا اذ لقي ابو نواس من الدراسة والنقد والتحليل مالم تلقه شخصية ادبية قبل . لكن وجدنا هذه الدراسات منها المجحف الجاحد لابي نواس ومنها من اتخذ موقفا معتدلا وبعضها الاخر اوقل معظمها الا وهي الدراسات المعاصرة من قبل نقادنا الحاليين التي راينا بعضهم يحوم حول الحقيقة ثم مايكاد يبتعد ثم يكر ثانية ليقبض على الفكرة فتعوزه قلة المصادر او الجراة على قول الراي في حقيقة هذا الرجل تلك الجراة التي تخالف جميع السابقين في رايهم وتقويمهم لهذا المسكين فمن عميد الادب العربي الدكتور طه حسين الى ادونيس الى حسين مروة فمحسن الامين وغيرهم كثير .

لقد وقف ابو نواس في قفص الاتهام مرات كثيرة وكانت خلاصة الاحكام متباينة منها المتعارض والمتضارب ومنها المتوافق والمتآلف ومنهاماكان في موقع الوسط يجمع بين الموقفين .

لقد كانت خلاصة هذه الاحكام على النحو التالي: الحسن بن هاني ذلك الماجن والمتهتك الفاجر الذي ملأ الدنيا دنسا وخرج على الدين واتبع الزندقة وكان من المارقين . هذا راى بعض الاقدمين .

وهناك رأى اخر قد يكون خلاصة اراء . طه حسين ـ حسين مروة ـ ادونيس وبعضهم هذا الرأى الذي كان اخف حدة وعنفا من آراء السابقين الاوهو ان ابانواس صاحب فلسفة خاصة في الشعر وفي الحياة يعرضها من خلال خروجه على الاعراف والتقاليد السائدة من خلال متنفسه الوحيد وهو الخمرة المقدسة لديه .

كما ان هناك رايا ثالثا قد يكون قطباه الرئيسيان الدكتور محمد النويهي وعباس محمود العقاد اذ نرى النواسي في العيادة النفسية متهالك القوى لايقوى على الوقوف بذاته يعيش تحت وطأة عقده النفسية وامراضه المتعددة التي لا يبرح منضويا تحت لوائها متجرعا غصصها المحمومة التي لايستطيع منها فكاكا

ورأى اخر قد يكون مغايرا لهذه الاراء وتتزعمه الدكتورة احلام الزعيم ومحسن الامين ودعارف تامر وقلة اخرون . ترى هذه المجموعة في ابي نواس عابدا زاهدا من كبار الصوفيين متشيعا ايماتشيع . وما عيشه ومجونه الاتقية وتسترا يريد ان يعرض بالعصر وسفالاته من خلال سخريةمبطنة. هذه تقريبا مجموعة الاراء فيها ـ لعمري ـ الصحيح . قد يكون في كل صحة بمعنى نسبي .

لابد لنا بعد الذي قدمناه من الوقوف ولو قليلا مع هذه الاراءلنخرج بالرأى الذي نراه مناسبا ونسأل الله ان يعصمنا من الخطأ والزلل وسوء التأويل .

الاقدمون وابو نواس

لقي ابو نواس من حملات التشكيك والتشهير الشيء الكثير ولفقت حوله الاخبار والصقت به التهم العديدة من قبل الكثيرين من ابناء عصره ومن التاليين لذلك العصر لاسباب متعددة وكثيرة منها الدينية والدنيوية والسياسية وبدوافع اخرى ستحاول تبيانها فيما يلي : لقد قسمت الدكتورة احلام الزعيم هذه الاتجاهات الى :

الاتجاه الاول :

تزعمه لفيف من الشعراء المعادين

له ولآل البيت والمؤيدين للسلطة الحاكمة انذاك . من هؤلاء الشعراء : مروان بن ابي حفصه وسلم الخاسر والرقاشي . لقد حاول هؤلاء الانتقاص من مكانة ابي نواس والنيل منه لاسباب عصبية وسياسية وللمكانة المرموقة التي كان الشاعر يحظى بها لدى الخليفة .

الاتجاه الثاني :

وقاده جماعة من الذين كان وضعهم الطبقي والاجتماعي الى جانب مايتمتعون به من نفوذ سياسي هؤلاء كان لهم منحيان في الحياة منحى رسمي جاد ناظمه العفه والطهارة ومنحى عابث ماجن يمارسونه في خلواتهم وجلساتهم الخاصة هؤلاء كانوا اذا ماجمعتهم مع الغلمان والجوارى والمغنين مجالس الانس والطرب . راحت قريحتهم تجود بالشعر المسف الفاحش نسبوه الى ابي نواس خوفا من سيرورته على لسانهم فينتقص من قدرهم وتهتز صورتهم لدى الناس وكأن ابا نواس قد غدا المشجب الذي تعلق به رزائلهم ورزائل عصره (١) .

الاتجاه الثالث :

وهذا الجانب يتعلق بشخصيته الظريفة الدمثة الحلوة المعشر فكلنا يعرف كم كثرت نوادره وظرفه وحكاياه الجميلة المضحكة لكن كل هذه الاشياء لم تتعد نطاق الادب والظرف والمجون السائد في ذلك العصر على حد تعبيره هو .

يقول ابن منظور : كان العباس بن محمد يتشوق ابا نواس ويميل اليه فلما رآه وسمع منه ورأى ظرفه اقبل عليه وقال : ياابا علي اريد ان اقول لك شيئا فاستحييك واستحييني من نفسي في ترك نصحك وقد بلغني انك مكب على المعاصي مستهتر بالقبائح والمجون فقال النواسي : ايها الامير اما المعاصي فانني اثق فيها بعفو الله عز وجل وهو يقول : قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله / وانما المجون ظرف ولست ابعد فيه عن حد الادب ولا اتجاوز مقداره (٢) .

فنحن نرى في هذه الرواية مايدل على البعد النفسي لمجونه وتعابثه بانه مجرد علاقات لفظية كلامية يتطلبها الادب ولاتتجاوز حدوده ونحن هنا لاننفي عنه بعض المجون والتظرف لكن لم يصل الى حد الفجور والفسوق كما اتهم به من قبل بعضهم انما كان الامر مجموعة من العوامل النفسية والعقائدية والسياسية

الاتجاه الرابع :

وهذا العامل مأخوذ من مذهبه الشعري الخارج على مذاهب الاقدمين والمقوض لمنهجهم الكلاسيكي في رسم القصيدة العربية . قد يكون موقفه هذا قد جر عليه بعض لوم اللائمين الذين لم يرضوا بالمذهب الجديد .

يقول مهاجما المتعصبين للقديم :

عاج الشقي على رسم يسائله
وعجت أسأل عن خمارة البلد

قالوا ذكرت ديار الحي من اسد
لادردرك قل لي : من بنو اسد

ومن تميم ؟ ومن قيس واخوتهم
ليس الاعاريب عند الله من احد

دع ذا عدمتك واشربها معتقة
صفراء تعبق بين الماء والزبد(٣)

كما يقول :

دع الاطلال تسقيها الجنوب
وتبلي عهد جدتها الخطوب

وخل الراكب الوجناء ارضا
تخب بها النجيبة والنجيب

ولا تأخذ عن الاعراب لهوا
ولا عيشا فعيشهم جديب

دع الالبان يشربها رجال
رقيق العيش بينهم غريب

اذا راب الحليب فاقبل عليه
ولا تحرج فما في ذاك حوب

فأطيب منه صافية شمول
يطوف بكاسها ساق اديب(٤)

لاشك في ان دعوة ابي نواس للتجديد قد جعلت الكثير من الاعداء راحوا يتحاملون عليه ويلصقون به التهم العديدة التي لاشأن له فيها .

كما ان هناك اسبابا اخرى زادت من حملة التشهير بأبي نواس الا وهي تلك الخصومات التي دارت بين الاخوين الامين والمأمون اذ ان النواسي كان من المقربين لدى الامين وعندما خلع المأمون اخاه الامين قيل :انه اوصى لبعض الناس ان يكتبوا كتابا في عيوب الامين ومن تلك العيوب انه كان قد استحلى رجلا فاسقا فاجرا كافرا يسمى الحسن بن هاني .

واضح لك عزيزي القارىء في ظل صراعات سياسية كهذه كم يمكن ان يكون قد لفق من الاخبار حول هذا الشاعر وذلك لابراز مساوىء السلف واظهار محاسن الخلف .

ـ اما الفئة الثانية التي تعرضت لابي نواس بالدراسة والتحليل تلك التي اسمينا موقفها معتدلا ان جازلنا ذلك واقطاب هذه المجموعة الدكتور طه حسين في كتابه حديث الاربعاء وفي بعض المقالات المتفرقة والاديب والناقد السوري ادونيس والناقد اللبناني حسين مروة . سنحاول في هذه العاجلة التي نظنها غير واقية لاعطاء هذا الموضوع حقه من الانصاف وعدم الزلل والاجحاف لكن دراستنا هذه مقتطفات نرجو ان نفي ببعض جوانب الموضوع. خلاصة هذا الراى لدى هذه الجماعة ان لابي نواس فلسفة خاصة في الشعر وفي الحياة يعرض لنا هذه النظرة الفلسفية من خلال شعره وخمرته . لنر بعض ماقاله عميد الادب العربي الدكتور طه حسين في هذا الرجل

ولكن ابا نواس كان يحب الخمرة حبا اشبه بالدين كان يعبدها ويقدسها تقديسا يقول ابو نواس :

اثن على الخمر بالائها
وسمها احسن اسمائها

لا تجعل الماء لها قاهرا
ولا تسلطها على مائها

كرخية قد عتقت حقبة
حتى نص اكثر اجزائها

دارت فأحيت غير مذمومة
نفوس حراها وانضائها

والخمر قد يشربها معشر
ليسوا اذا عدوا بأكفائها

ثم يدعو طه حسين القارىء للنظر والتمعن في البيت الاول في هذه القصيدة

اثن على الخمر بالائها
وسمها احسن اسمائها بقوله :

اليس الشطر الاول منه تسبيحا للخمر ؟ اليس الشطر الثاني منه تقديسا للخمر ؟

اليس يذكرك القرآن ؟ اليس يذكرك قول الله تعالى « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » (٥و٦) .

ونحن اذ نضيف رأيا على راى الدكتور طه حسين لماذا هذا التقديس ولماذا هذه العبادة للخمرة التي نراها واضحه في ابياته اليس لان للخمرة ابعادا وافاقا نفسية وعقائدية مذهبية تعتلج بداخله ولايستطيع البوح بها خوفا من البطش والقتل ؟؟ نظن ذلك .

لقد كانت الخمرة لديه وسيلة الكشف عن شيء مفقود يبحث عنه لقد كانت وسيلة من وسائل النزوع الى المطلق والتواصل معه لقد كانت خمرته متنفسا لاظهار مافي عالمه وواقعه الاجتماعي من متناقضات وغبن ومرض يقول ادونيس ان كانت هذه ماهية الخمرة فان لوجودها الفعل الذي يليق بهذه الماهية فهي تمنح الحياة وتغير قيمتها وتوالف بين الاشياء وتبطل منطق الزمن العادي وتهدم سجن الحياة العادية وتضيء وتهدى انها تشوه التآلف بين الذات والعالم (٧و٨)

كما يؤكد ادونيس ويبين ملامح الشخصية النواسية الثورية ان صح التعبير يقول : والانسان النواسي هو الانسان العائش مع ذاته المتخذ من العالم كله مجالا لتوكيد ذاته الساخر من القيم العامة النهائية ومن القائلين بها والقيمين عليها انه الانسان الذي لا يواجه الله بدين الجماعة وانما يواجهه بدينه هو ببراءته هو وخطيئته هو .

هذا هو راى هذه الجماعة التي نظن بعضهم وصل الى اعماق النفس النواسية كأدونيس مثلا على ما يظهر لنا من كلامه على هذا الرجل كما اننا سنعود في مكان اخر ـ عزيزي القارىء ـ لنبحث في رأي العقاد والنويهي حول النواسي المريض ـ المعقد ـ.

« ابعـاد الخمرة النواسية »

ان ابعاد الخمرة لدى ابو النواس لهي مغايرة تماما لما هي عليه لدى كل من طرق موضوعها ووصفهـا وتغنى بها من سابقيه ومعاصريه ، اذ كانت لدى سواد تعبر عن نزف مادي ونفسي ، أو عادة اعتادها الشعراء قبله ان يدلوا بدلائهم في هذا الموضوع .

ان تعامله معها مغاير تماما لاغراض وغايات سواه لقد كانت وسيلته الابداعية في اختـراق العوالـم الموضوعية المكانية والخروج من هذا العالم لخلق عالم آخر شعري نفسي يتوافق ونزوعه للتجديد وثورتـه على القيم والعادات التي تناولتها يد البلى ويجـب تغييرها واستبدالها بقيم أخرى اكثر مرونة ومواءمـة لروح العصر ومقتضيات التطور .

لقد كانت خمرته انتقالا الى عالم آخر صنعه لنفسه تقول الدكتورة احلام الزعيم : « ولم تكن الخمرة عند شاعرنا وسيلة لتبديل الهموم فحسب بل كانت كذلك وسيلة لكشف منابع الحسن والجمال في كـل الاشياء ففيها يجمل العالم وتحلو الطبيعة وفيها يقترن جمال الانوثة وحسن السقاة وفيها يتجلى جمال الدنيا وروعة الوجـود » .

(٩) يقـول :

لا تخشعـن لطـارق الحـدثان
وادفع همومك بالشراب القانـي

أو ما ترى ايدي السحائب رقشت
حلل الثرى ببدائـع الريحـان

مـن سوسن غض القطاف وخيزم
وبنفسج وشقائزق النعمـان

فاذا الهموم تعاورتـك فسلها
بالراح والريحـان والندمـان

كم هي بديعة تلك الرؤى التي تفتحها الخمرة لشاربها وكم هي جميلة تلك الآفاق في الطبيعة انه يراها مـن خلال نفسه الممزوجة المنتشية بنشوة الخمرة .

فالابعاد النفسية للخمرة اكبر بكثير من التصورات التي يتصورها اولئك الذين رموه بالزندقة والتهتـك والمروق من الدين وغيرها من الابعاد المرضية التـي حللها كل من الناقدين الكبيرين ، عباس محمـود العقاد ، والدكتور محمد النويهي اللذيـن اعتبـرا ان الخمرة لديه تعويضا عن حرمانه عاطفة الام أو نرجسية طافحـة تتبع من ذينك العقدتين آفات مرضيـة ونفسية متعددة . هذا على الصعيد النفسي .

أما على الصعيد الاجتماعي فللخمرة أبعاد اخرى ومرام مغايره لما اسلفناه .

لقد أراد النواسي من خلال خمرته هذه ان يفضح عيوب عصره وحضارة مجتمعه المزيفة بكشفه النقـاب عن تلك الجماعة التي كانت تتستر بالديـن وتدعـي المحافظة على الاخلاق لكـن خلواتها بهـذه الممارسات الخمرية القيانية الغلمانية تلك التي ظنوا ان احدا لم يطلع عليها فراح ابو نواس بأسلوبه الفني البـارع وسخريته المبطنه ودعابته المبعدة للشك ، راح يصور هذه الخلوات وذلك المجتمع المنحدر الى ادنى مصاف القيم الخلقية لنستمع اليه في قصيدة يمدح الامـين يقـول :

فاسقنـي كأسـا عـلى عـذل
كرهت مسموعـه اذنـي

مـن كميت اللون صافية
خـير ما سلسلت في بدني

مزجت مـن صـوب غاديـة
حملتهـا الريـح من مزن

تضحـك الدنيـا الـى ملك
قـام بالاحكـام والسنن

يا أمـين الله عش أبـدا
فاذا أفنيتنـا فكـن

كيف تسخو النفس عنك وقد
قمت بالغالـي مـن الثمـن

تعلق الدكتورة احلام الزعيم على الأبيات قائلة :

« واذا امعنا النظر في قوله ـ تضحك الدنيا الـى ملك ـ نرى الى أي حد بلغت سخريته المبطنة بالامين وذلك حين ينعته بأنه قام بالاحكـام والسنن وهـو المعروف بتحلله من الكثير من الاحكام والسنن (١٠) :

اليس في سخريته هذه بعد سياسي واضح يريد من خلاله ان يفضح أمر الخليفة ويظهره بعريه الكامل امام النـاس .

ونمضي مع الدكتورة الزعيم ، نستجلي هـذه الرموز السياسية في شعر الشاعر يقول مثلا مادحا الامـين :

اضحى الامـام محمـد
للديـن نـورا يقتبس
ورث الخلافة خمسـة
وبخـير سادسهم سدس
تبكـي البـدور لضحكه
والسيف يضحك ان عبس

اني اراني مضطرا لوضع بصمتي بأصابعي العشر تأييدا لراي الدكتورة الزعيم حيث تقول في هـذه الابيات : (لا يخفى علينا ما يقوله اضحى الامام ... للدين نورا يقتبس وقوله تبكي البدور لضحكه من مداعبات لا تخلو من الغمز والاستخفاف المبطن . ان ابا نواس الذي آمن بالحرية وعاش في ظل مجتمع تكبله العبودية كان يدرك بأن مقاومة ديكتاتورية الخليفة وكمها للافواه بشكل علني هما ضرب من التهور لذلك فقد اتخذ من السخرية المبطنة اسلوبا يواجه به سلطان القمع والارهاب الفكري » (١١) .

لنر بعد ذلك كيف فضح امير المؤمنين من خلال تظرفه ودعابته يقول :

لاح لحانـي كـي يجيء ببدعـة
وتلك لعمري خطـة لا اطيقهـا
لحاني كي لا أشرب الراح انهـا
تورث وزرا فادحا مـن يذوقها
فما زادني اللاحون الا لجاجـة
عليهـا لاني ما حييت رفيقهـا
أأرفضهـا والله لم يرفض اسمها
وهذا أمير المؤمنـين صديقهـا

فهل بعد هذا من ريب في ان ابا نواس قد حمل خمرته رموزا سياسية مبطنة ماذا نفهم من عبـارة « هذا أمير المؤمنين صديقها » . اليست هذه العبارة فضحا مبينا لامير المؤمنين القيم على الدين وتطبيق تعاليمه ؟؟

كما ان للخمرة ابعادا فنية عند ابي نواس شرحها الدكتور طه حسين في حديث الاربعاء ، وادونيس في الثابت والمتحول ، واحلام الزعيم في كتابها « ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد » .

لقد أراد الشاعر ان يتخذ مبدأ يعبر من خلاله عن اتجاهاته الفنية والفكرية ويحرص على التجديد وتحطيم الاسس القديمة للقصيدة العربية حتى تغدو هذه القصيدة صورة للواقع الاجتماعي والنفسي المعاش ، لقد دعا الى الصدق في التجربة والصدق في القول ، لقد هاجم بعنف وضراوة طرائق الاقدمين في التعبير وافتتاحيات القصائد يقول :

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هنـد
واشرب على الورد من صهباء كالورد
تسقيـك من يدها خمرا ومن فمها
خمرا فما لك من سكرين من بـد

لقد حاول أن يطرح قيما اجتماعية جديدة وان يخلق اعرافا هي من وحي الحياة الحاضرة فثورته على القوالب والاعراف القديمة كانت تصل به احيانا الى حد التمرد والخروج الكبير حتى على أهم القيم الاخلاقية ، ليس الا ليثبت مبدأه في عرض مذهبه الشعري الذي تفانى من أجله .

لنطالع صفحة من كتاب ، احلام الزعيم لنستخلص ما تقوله في هذا الامر لقد عرضت القصيدة التالية التي تقول :

ومليحة في العـدل ذات نصيحة
ترجو انابة ذي مجـون مارق
بكرت تبصر في الرشاد وشيمتي
غـير الرشاد ومذهبي وخلائقي
لما الحت في العتـاب زجرتهـا
فتأخرت عنـي بقلب خافـق
كم تـاه قلبي فاعلمـي وزجرته
فرأى اتباع الرشد غير موافـق
ومدامة مثل الخـلوق عتيقـة
حجبت زمانا في كنائس دابـق
باكرتهـا مـن كف أغيـد شادن
حسن التنعم فوق سؤل العاشق

تقف الدكتورة الزعيم مع هذه الابيات تقول « فأي مجـون واي مروق هذا الذي ينعت به ابو نواس نفسه ؟؟ واي رشاد هذا الذي يصر عـلى

الابتعاد عنه ؟ واي عتاب هذا الذي يصم اذنيه عن سماعه ؟ ولماذا هذا الاصرار منه للظهور بمظهر اللامبالي ؟ وما الذي يحوجه الى الدفاع عن الامعان في الغي والضلال لو لم يكن يتخذ موقف المتحدي الساخر ممن يتصور موقفه من الخمرة غيا وضلالا في الوقت الذي شكل بالنسبة اليه منبعا للتحولات والتجديد » (١٢) .

الابعاد الروحية والدينية :

تلك الروح القلقة والوجدان المعنى والعواطف المستعرة التائقة الى الاتحاد بالمطلق لا شفاء لها ولا أرحب الا تلك الخمرة المقدسة التي يستطيع بواسطتها الوصول الى عوالم غير التي يعيشها الناس العاديون.

كما نعلم كان ابو نواس متشيعا لآل البيت مواليا لهم مبطنا عقيدته الدينية وتشيعه بحجاب « التقية » الذي تنادي به جماعة الشيعة الباطنية .

لكن من يديم النظر باشعاره يستكشف هذه الحقيقة جلية واضحة لنستمع الى هذا البيت يقول :

لي نشوتان وللندمان واحدة
شيء خصصت به من دونهم وحدي

لنتساءل ترى ما هاتان النشوتان ؟ هل هما حقا نشوة السكر ونشوة اللذة بمواقعة امرأة معينة كما اعتقدت الدكتورة احلام الزعيم ؟

أم انهما نشوتان مغايرتان ؟؟

اننا لا نستطيع تقبل هذا التفسير فيما يخص النشوة الثانية ألا وهي النشوة الجائية من مواقعة المرأة بل هي في راينا نشوة دينية مذهبية ، ابعادها مترامية الاطراف ، لا مادية تلك التي توحد ذاته مع الاله ولو كان غير ذلك على حد تعبير الدكتورة احلام كيف يمكن ان يكون قد خص بهذه النشوة دون الندمان أليس يصح للندمان من النساء ما يصح له ؟ الجواب واضح وصريح كما أنه يضفي على خمرته صفات الاله عز وجل من قدم ونفي الصفات والمثل يقول :

ما زال يجلوها تقادمها
حتى اغتدت روحا بلا جسم

ويقول :

ذخرت لآدم قبل خلقه
فتقدمته بخطوة القبل

ترى كيف نفسر هذا البيتان على مذهب الاكثرين اولئك الذين اعتبروه متهتكا ماجنا وعلاقته بالخمرة مجون وفجور ومروق ؟

كيف نبرىء ذمتنا أمام الكثير من هذه الابيات في قصائده ؟

الا يرمز بقدم الخمرة هذه التي سبقت آدم الى قدم الذات الالهية ؟

ثم ذلك البيت الذي أورده طه حسين ذلك الذي يقول :

اثن على الخمرة بآلائها
وسمها أحسن اسمائها

يقول الدكتور طه حسين معقبا على هذا البيت بقوله أ

« أليس الشطر الاول تسبيحا للخمرة ؟ أليس يذكرك القرآن الشطر الثاني من البيت ؟ أليس يذكرك بقول الله تعالى : ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » (١٣) أليس هذا تعطشا من أبي نواس للتواصل مع الذات العليا ؟

ويقول ايضا :

ومدامة سجد الملوك لذكرها
جلت محاسنها عن الوصف

أي قوة خفية تحملها هذه الخمرة حتى تجعل الملوك يسجدون لها ؟ اكبر ظننا ان قوتها الهية .وغير ذلك من الابيات كثير متعدد متناثر في ثنايا قصائد ذلك الرجل الذي حار النقاد وما زالوا يحارون في تفسير الكثير من جوانب شخصيته .

الشيخ بدر ـ محمد علي اسماعيل
اجازة في الآداب ـ قسم اللغة العربية

---

١ ـ ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد : د . احلام الزعيم .
٢ ـ مختار الاغاني : ابن منظور
٣ ـ الديوان
٤ ـ الديوان
٥ ـ حديث الاربعاء د . طه حسين
٦ ـ حديث الاربعاء د . طه حسين
٧ ـ ادونيس : الثابت والمتحول
٨ ـ ادونيس : مقدمة للشعر العربي
٩ ـ احلام الزعيم : ابو النواس بين العبث والاغتراب والتمرد .
١٠ ـ احلام الزعيم : ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد .
١١ ـ احلام الزعيم : ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد .
١٢ ـ احلام الزعيم : ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد .
١٣ ـ حديث الاربعاء : طه حسين

قراءة في نتاج القاصة الجزائرية
خيرة بغدود

بقلم : أحمد دوغان

شغلني الادب الجزائري المعاصر حينا من الدهر، وما زلت مشغولا به ، وذلك لايماني بأن ما اقوله هو جزء من رسالة الاديب من اجل عملية التواصل الادبي بين ابناء الامة العربية .

ومن الاصوات الادبية الشابة طلعت (خيرة بغدود) بنتاجها الادبي ، وكلل الادباء الطموحين تبحث عن هوية ادبية متميزة ، فكتبت الرواية ، والمقالة ، والخاطرة ، وعانت القصة القصيرة ، وقصص الاطفال .. لم تكن مغامرتها مع الصحافة شأن الادباء الشباب ، وانما تضع الحذر بادىء ذي بدء ، ولذا فانها تبدأ بالرقابة الذاتية على ما تكتب ثم تضع هذا النتاج المدقق من قبلها في درج مكتبتها ما بين التفاؤل مرة ، والحذر مرة اخرى .

وان كانت ـ حسب رأيي ـ المغامرة صعبة ، لكن لا بد منها ، لان الطريق ليست معبدة بالياسمين وانما بالاشواك ، وبالارادة يصل الاديب الى ما يصبو اليه اذا كان موهوبا، ويجب الا يفاجأ بالنقد حينا، وبالنهش حينا آخر .. فتلك هي سنة الصحافة بل قل سنة القائمين على عملية الكتابة الصحفية السريعة .

بعد هذه المقدمة القصيرة احب ان أقف قليلا عند بعض قصص (خيرة بغدود) لان هذا الصوت كما قلت ظل بعيدا عن الاضواء .. لسبب او لآخر، وفي الحقيقة يجب ان نقرأ ما تكتب لنطلع على مدى ما تعانيه في كتابتها . وخاصة في القصة القصيرة .

فالقصة عند (خيرة) ليست تسلية ، ولا قطعا للوقت ، وانما هذا الاحساس بالكتابة نابع من نظرتها الى الواقع بحلوه ومره ، ومعالجة ما يمكن الوصول اليه . وهنا تكمن النظرة الواقعية في الادب، وكثيرا ما تربط بين احساسها الذاتي وبين واقعها الكبير الى حد نشعر فيه انه لا انفصام بين الواقع الحقيقي والواقع الفني .

ففي قصة (جريمة حب) تجد الشخوص تأتي بأسمائها وافعالها وكأنها تدلنا على الزمان والمكان . وهي وان كانت مجموعة من العواطف الذاتية او من خلال التصور .. فانها كانت تؤدي الى سرد انفعالات عاطفية ، ولا حرج في ذلك فيقدم لنا الحدث طالبة بكلية الحقوق اعجبت بمدرس لها ، وذلك لتفانيه في العمل ومعاملته الحسنة . ولما كانت متقنة للغة العربية أقدمت على اعطاء دروس لها . ودعاها ذات يوم لزيارته في منزله . فوافقت ، ولم تمانع ..وفي المنزل اخذ المدرس يقرأ لها اشعارا بالفرنسية ، وشيئا فشيئا اخذ يقترب منها .. قبلها بجنون ولم ينقذ الموقف الا طرقات الباب ، ودخول فتاة ، مما

ساعد (شفيقة) على الهـــرب الذي لم يمهلها ، اذ تلقفتها سيارة اردتها صريعة لكنها لم تنس وهي تودع الحياة ان تتلمس مكان قبلة حارة .!

وهنا يطرح سؤال علينا .. هل حققت غايتها من كون هذه القصة جاءت ممثلة للعنـوان (جريمـة حب) ؟. في تقديري انه لا يوجد حب ، بقدر مايوجد الوجه الثاني الا وهو الخداع .

هذا مجمل الحدث في هذه القصة التي كـان بامكان (بغدود) ألا توجد الهروب المصطنع ، او ان تجعل شخصيتها صريعة بل تنهي الحدث .. وهـي قادرة على تركيب الحدث بشكل آخر لتصل الـى ما يسمى بجريمة حب .

وفي قصة (كتف وكيف التسلق) تلمست بيدها الواقع الاجتماعي اذ عرفت القاصة طريق الحـدث بوعي .. فقد اوقفت شخصية القصة في طابور امام قسم الاسعافات ولكن قبل أن تصل الى هذا الطابور هنالك دحرجوني من حيث اتيت لمركزحيي،بوابه احالنـي للكاتب ، والكاتب يكتب الطبيب) والطبيب لم يكن موجودا ، وتعقدت الامور ، ومن اجل موافقـة الطبيب عادت الى المنزل لتأتي في اليوم التالي وبعـد ـ شفاعة من قريش ـ حملت دواءها وذهبت الـى الطابور (تدافعت الاجساد بالطابور اعتلى التذمر . وانفجرت امرأة ـ صفيري بموت دعوني افوت)واخذت بغدود في رسم الشخصية النامية لتعري مشكلة مـن مشكلات العصر .. وتطل ممرضة (علينا طل مريال.. فبدا الصك أنا الاول .. وانت الثاني .. صاح آخر. رد شيخ مشيرا لامرأة بشهادة الجميع هي الاولى ، وانا الثاني .. والتفت الينا ، أليس كذلك) لقـد تعبت ، تورمت رجلاها و (الحقنـة اللعينة تحتـل جيبها) وتصبر على نفسها ، ولما سمعت احـد المرضين يقول (ثلثي طوابيرنا مرضى وهم .. قاطعته افهمني هي حقنة) .

طلب الوصفة ، وبدات المساومة هل هي وريدية ام عضلية ولكنها في العضل اسهل .. اخذتها مـن يده وهمت بالانصراف وعند الحقن اخطأت الحقنـة الوريد .. تأوهت ، وكأنها واحدة (مـن حقـول التجارب المسحوقة) .

ان (بغدود) شرحت واقعا ملموسا ، نظرا لان ما جاء في القصة انما هو تصوير حي ، فالتجمـع يوميا امام ابواب المشافي والمستوصفات ،بل قل امام المؤسسات ، والمخابز والمحلات ، ثم موقف المرضين والاطباء .. هو ذاته موقف عمال المؤسسات والمخابز والمحلات .! هذا التشخيص سهلا ولذلـك حققت (خيرة بغدود) ما ترمي اليه الا وهو النقد الذاتـي لمجتمعنا الذي يمثل (الأنا) الكبيرة ، او الشريحـة العامة من (أنا ـ أنت ـ نحن) ليتحول السلب الى ايجـاب .

وتأتي قصة (خبزة الصدر) ـ والمقصود هنا مـا يوزع على القبر بعد دفن الميت ـ لتجسد لنا استغلال الانسان ، وليس كل انسان ، وكيف ان هناك مـن ينسم بمجرد ان أصبح تحت التراب وتنقلنا القاصة الى عالم القبور حيث (اشجار الصفصاف سامقـة مصطفة ككتيبة حرس) ثم الحفر والزخارف على كل شاهدة .. وهناك حفر تنتظر القادمين الى العـالم الآخر حيث لا استغاثة ، ولا تأوه .. وتصف لنـا بعد ذلك كيف جيء بميت (هوى كتلة لحم مشلولة، ولا التفاته .. أكله النسيان .. الجحيم .. الجحيم للوسط ، وللمجتمع وللقزامة، وبدأن التوافد والخبزة تثقل الصدر) .

حشد كامل لحفرة ، لكومـة تراب .. (طرحت الخبزة بصدر الحفرة .. ولجلجلة الفقيه..وتململت السمينة متأففة) .

وبدأت ثرثرة النساء ، ونحيب بعضهن ، والهمس خلسة ، وحملقت العيون متوسعة (بحجم توسـع خبزة الصدر التي على الحفرة الآن ويا لها من خبزة اسالت لهابهن) . طلب منهن التوقف عن المضغ فكان الرفض (هي صلة رحم .. صدقة لنرزق صبرا)..وما كان من السمينة التي جاء ذكرها الا ان قالت (بكينا البارحة وانتهينا) وقالت احداهن : (انتقي لك أكبر قطعة) فأجابت بالنفي (لا .. لا ابعدن .. أخافكن .. ستأكلن الخبز في يوم ما على صـدري) وتنتهي القصة التي حاولت فيها (خيرة بغدود) أن تدمج بين الواقع والخيال مستخدمة في ذلك مايحدث فعلا بعد الوفاة . لقد طرحت قضيـة ما هل هـي صحيحة ؟. انها عادة متبعة ، بل انها في بعض المناطق سنة حسنة ، وذلك للترحم على الميت ، فهل أخذت (خيرة) هذا الجانب الانساني ، ام انهـا طرحت

الجانب السلبي لهذه العادة ؟. أم أنها اوحت الى ان هذا المبلغ يذهب هدرا دون فائدة ، وبامكان أهل المتوفى أن يضعوا المبلغ في مشروع تعاوني ، اويصرف على المحتاجين . وذلك خير وافضل .. واذا لم يكن قصد القاصة ذلك فلماذا كانت هذه الصفحات ؟!. وفي اعتقادي انها التفاتة حسنة من القاصة الى ما يصدر من عادات تقليدية ، منها ما يمت الى تراثنا حضاريا ، ونعتز به ، ومنها لا يقدم خيرا ، ويجب اعادة النظر في كثير من الموروثات وتنقية الشوائب .

على كل يبقى الموضوع جديدا ، أو أن الحدث في هذه القصة يمثل نظرة جديدة يمكن ان يترك مجالا للمناقشة ، وهذا هو هدف القصة .

ونقف عند قصة اخرى انها (الزرواطة) ، والزرواطة هنا أشبه بعكاز تستعمل كسلاح للحراسة والدفاع عن النفس ـ هذه القصة تميل في تركيبها الى الرواية ، وذلك لان الحدث فيها اقرب الى السرد الروائي ، ولكن هذا لا يمنع من القول ان هذا الحدث كان متماسكا ، يأخذ من اهتمام القارىء ويظل يشده حتى الجملة الاخيرة ، وذلك من مميزات القصة القصيرة ، ويبدأ الحدث باقبال (نبعودة) على المدينة وجلوسه على كرسي خارج المقهى كعادته ، ليسهل عليه الصيد قائلا :

(والله لا ابرح مكاني هذا حتى اتمكن من صيدي الجوع ، موريس ، الكلاب ، وابناء الكلاب) .

انها الظهيرة ، لم يظهر احد فالصيف والحر .. نقر بالزرواطة على الطاولة (قهوة ثقيلة) .

وتبدأ القاصة باعطاء الوجه الاول لـ (نبعودة) شوقه لرؤية النساء ، الاولى راقبها ، بدت له عجوزا ، والثانية ، انها ممشوقة القد .. ذهب وراءها اسرع الخطا قال (كلمة واحدة يا ملحة).. لكنه فوجىء بصوت ناعم :

(ـ اخطأت يا هذا انك لا تجيد الاصابة الاتفرق بين خبز الدار ، وخبز السوق) .

تراجع متخاذلا ، وفي المقطع الثالث يزداد الحدث تأزما بدأ الحديث مع جماعة من وشرته عن الحصاد ومحصول السنة وأمراض الكروم و (الخراف التي راها وباعها اليوم خفية عن موريس) وبقية الحديث عن الفقر والحرمان والصقيع ، بينما الخيرات تذهب لاوربا (ونبقى نحن نكابد الجوع .. الشتاء بكامله واطفالنا يموتون جوعا .. ولا من يرحمهم برغيف شعير) .

وتذكر (نبعودة) أيام الصغر فقال (ما أتعس صبانا) وشهد الجميع بأن ضربة واحدة من زرواطة نبعودة تترك الخصم ممددا .

وفجاة تطل ملاءة بيضاء .. اقتربت اكثر .. قال (نبعودة) انها تقصدني .. سار مسرعا ، حتى لا تضيع منه (اما الزرواطة فبقيت قرب الكرسي) .

وفي المقطع الرابع .. يعود (نبعودة) بعد ان اختفى كل شيء انه الغروب ، ولا مفر من النوم في الحمام بعد ان ذهبت اكثر دراهمه ، اصوات خارج الحمام .. جماعة من الشرطة ، تأمر الجميع .. لماذا ؟ تمتم ويداه على رأسه صاحوا به :

ـ قف وارم السلاح الذي بحوزتك .

اجاب بالنفي .. (كان ساعتها مشدوها راى الزرواطة تطير في الفضاء ، هي .. عرفها من طوقها النحاسي ، وقعت داخل السياج ركله الشرطي : هيا اتصرف يا بغل لا تملك سلاحا) .

وفي المقطع الخامس يعلم (نبعودة) بأن الثورة قد اندلعت وان البارحة طعن ضابط بخنجر من طرف فدائي .. ولهذا يبحثون جن العصي والخناجر والزرواطات .. (راوده جموح غريب في اعادة الزرواطة .. يقولون بداية الثورة فكيف لي بمواجهة الكلاب دونها ، لا ارحل الا وهي بحوذتي) .

عاد للحديقة .. شاهد زرواطته ممددة..غافل المارة قفز داخل السياج .. انتشلها عاود القفز ، انطلق صفير .. صفير شرطي مار بدراجته أمره بالوقوف .. تجمد نبعودة ، ودون سابق شعور لوح بالزرواطة فوقعت كعبرتها على ناظر الشرطي وقع على الارض .. انحنى نبعودة وانتشل المسدس ، هتف المارة :

(ـ لا تتفرقوا .. انها الثورة احموه .. افسحوا له الطريق .. فدائي .. فدائي) .

وفي اليوم التالي تطل صحافة العدو (يمنع على السكان حمل الزرواطات والعصي ، ويعاقب كل من خالف القانون) ؟

اجد نفسي امام هذه النهاية ، وانا اتأمل التاريخ .. ثورات الشعوب ضد مستعمريها .. كيف بدأت الثورة في الجزائر ، تلك الثورة التي لم تقف عند صغير أو كبير ، عند فلاح ، او مثقف فالمارة التي تمثل الشعب بأكمله تهتف :

انها الثورة .. احموه .. افسحوا له الطريق فدائي .. فدائي ذلك هو مضمون القصة ، فالخط التصاعدي في الحدث لم يكن عبثا ، فالزرواطة ذاتها كانت يوما تحرس الكروم ، وهي اليوم تقضي على من يستغل خيرات الكروم .. لقد قالها نبعودة (يقولون بداية الثورة فكيف لي بمواجهة الكلاب دونها لا أرحل الا وهي بحوزتي) .

من خلال هذه القصص التي جئت على ذكرها يتبين لنا أن القاصة (خيرة بغدود) استطاعت أن توظف شخصيات قصصها في واقع قصصها ، فنرى أنها تعرضت الى امور عدة :

١ ـ موقفها من استغلال بعض الناس لمناصبهم كأستاذ الجامعة في (جريمة حب) والممرض او الطبيب في (كتف وكيف التسلق) .

٢ ـ تعرضت الى مشكلات اجتماعية ، كما جاء في تجمع المرضى والشجار والصراع وذلك من اجل لفت نظر المسؤولين الى العناية بالصحة ، وفي الحقيقة ، ليس الى قطاع الصحة فقط ، وانما هذه عينة مشابهة لغيرها في مصالح اخرى .. كالنقل والبيع .. واشياء اخرى .

٤ ـ طرحت قضية العادات من خلال قصة (خبزة الصدر) ولعل القاصة استخدمت جراتها في نبش الموروث ، والعادات وطرح الزيف ، وبقاء ما هو صالح حضاريا .

٤ ـ قضية الثورة والنضال ، وما عاناه الشعب الجزائري في صراعه مع الاستعمار الفرنسي .

هذه المضامين المتعددة ، لا شك في انها وظفت كثيرا مما يعيشه المجتمع ، واذا كانت في مضمونها تنتمي الى الواقعية ، فان الشكل لديها كيف يكون مع العلم انه لا يجوز لنا الفصل بين الشكل والمضمون في المعادلة الفنية ، مع ذلك نجد أن القاصة لجأت الى اسلوب يجمع بين السرد والحوار في اغلب قصصها ، وهذا ما يمكنها من اسلوب القصة الحديثة ، اما اللغة التي استعملتها هي من واقع الحدث .. وهذا يعني انها توافق بين اللغة كأسلوب ، وبين الحدث كرؤية واقعية .. واحيانا تستخدم اللغة الشعرية كما رأينا في (خبزة الصدر) اذ انها تقول في المقدمة التي نشعر وكأنها تأخذنا الى منتزه ، وليس الى مقبرة (تخطينا الباب الكبير ، الكون ساج ، والشارع خال ، يخالجه هدوء .. واشجار الصفصاف سامقة مصطفة) .

وتبقى المفاجأة في قصصها ، أو التأزم الفني ، هذه المفاجأة التي فشلت في (جريمة حب) ونجحت في القصص الاخرى لكونها وظفت التركيب ، او جسدت التنامي الهرمي للوصول الى تقنية القصة ، وامتلاك احساب القارىء بالمفاجأة .. او ما يسمى بالتفجير اثناء التأزم ، او بالعودة الهرمية من الحل الفني للعقدة القصصية .

وفي خاتمة المطاف نود ان نقرأ للقاصة خيرة بغدود اكثر ، متمنين ان تأخذ مكانها في القصة الجزائرية المعاصرة على امل ان نلتقي مع الاصوات وامتلاك احساس القارىء بالمفاجأة .. او ما يسمى زنير ، وليلى بن سعد اليعقوبية والراحلة القاصة زليخة السعودي .

حلب ـ احمد دوغان

في ظـــلال السنديان

ديوان شعر لـ ((رضـــا رجب))

● نقد وتحليل مصطفى الخش ●

السنديان : الواحدة سنديانه وفي علم النبات جنس شجـــر من فصيلة البلوطيات ينتج ثمرة لا تتفتح ، يحيط بـــه قمـع . وتسمى هذه الثمرة بلوطه ـ وبالعامة (دوام) ـ اوراقه لماعـــة ومسننة الاطراف ، ومنبته على شواطىء البحر المتوسط الشرقية وهو منتشر على امتداد سلسلة جبال العلويين ، التي كان يطلق عليها فيما مضى جبال السماق .

وللحقيقة فان السنديان اكثر ولهذا كان يجب ان تسمى جبال السنديان .. في الحرب العالمية الاولى كان السكان يتقوتـــون بثمره ، بعد طحنه . وما تزال اوراقه المغلية بالماء تستعمل شرابا شافيا للمرضى بداء الرمل .

ولقد ساقني الى هذا التعريف ديوان للشاعر رضـــا رجب اطلق عليه اسم (في ظلال السنديان) تعبيرا عن وفائه لقريته ، وبخاصة لاشجار السنديان التي عب النسيم العليل تحت ظلالها الكثيفة الوارفة ، سواء مع كتبه المدرسية او مع اترابـــه مـــن الجنسين .. ومن هذا الجو النقي الرائق استوحى باكـــــورة اشعاره الناطقة بجمال الريف وصفائه ، فكان وفيا لبيئته التي عاشها وما زال يعيشها بكل جوارحه ، وبكل نبضات قلبه الطهور، فكان في عاطفته شاعرا صديقا .

المقـــدمة

ازين الديوان بمقدمة الشاعر المخلي حامد حسن ـ المخلي بشعره وصوته وحديثه وفي تعامله مع الآخرين ـ فلم يترك زيادة لمستزيد . ومثلما اهداه الديوان ، كرائد المدرسة الجمالية في الشعر العربي المعاصر ، فقد أكب عليه نقدا وتحليلا ، وغوصـــا الى أعمق اعماق تلميذه في هذه المدرسة .

وها هو الاستاذ يكشف الغطاء عن ان (العواطف المنداحـــة عواصف والمنساحة آهات) انما هي تعويض عن الكبت والحرمان وانها لواقع ذهني ـ تصوري ـ تخيلي ، وليست واقعا حسيـــا ماديا . ويبرهن على صحة رأيه ، بعقلية الوسط الاجتماعـــي الذي عاشه هذا الشاعر الفتى ـ الشاب .

ويذهب بعيدا ، فيقرر ان المادية ـ فيما لو خالطت ـ لكان حتما ان ينخفض هذا التوتر العاطفي ويهدأ ـ ولو قليلا ـ هذا الجيشان النفسي ، ويتكامن هذا البركان الثائر الهادر المدمر . ويلاحظ ايضا ان هذا الحب واللهف قد استبطن (تعويضـــا) حبا ((صوفيا)) فالمرأة عينان ، شفتان ، ناهدان .. وهكذا يكتفي الشاعر باللذات ((العليا)) كما يقول الصوفيون ـ عـن مـــلذات الحس والمادية ـ انتهى

ومع اني اثني على صحة واقعة ((الكبت والحرمان)) الا ان الاجحاف كله ، في وصف الاستاذ لتلميذه ، فالتوتر العاطفـــي والجيشان النفسي والبركان الثائر الهادر المدمر ، كلها سمـــات للشباب ، في الفقر وفي الغنى .. لا بل فانها اكثر توقدا مـــع الفقر ، ذلك ان الغني يلهو عن عاطفته ، بمتاع الدنيا ورفـــه العيش اما الفقير فما له الاها .

وكاي من شاب ـ وفي الشباب خجل وعفة ووداعة ـ فانـــه لا يتطلع الى المرأة الا من زاوية العينين والشفتين والناهدين ـ وهي بارزة امام ناظريه ويكتفي بها عما دون ذلك ، فتلك مرحلتـه وليس له ان يتخطاها . ورحم الله امرءا عرف حده فوقف عنده.. واذا كان الحال كذلك فلا غضاضة اذا ما جـــاء الفتى بالحب الصوفي ، ولو لم يكن صوفيا .

المغـــالاة

وليس بضائره انه كان مغاليا ، فالمغالاة صفة من صفـــات الشباب ايضا اسمعه يقول ، وقد صعر خدا ، وتبختر كالطاووس:

ألهو بواحدة وواحدة
وأمص خمر النهد في نزق

لم ابق ثغرا لم ارش بمه
تيهي وغدر الخافق القلق

وانه للكذب الصراح ، وقد سبقه الى ذلك امرؤ القيس :

وقبلتها تسعا وتسعين قبلة
وواحدة اخرى وكنت على عجل

فالمتعجل لا يعد وانى له ان يعد ؟! والثغور بعدد النساءجميعا، وما رأى منهن الا القليل الاقل وبالمناسبة فان « بايرون » ـ شاعر الانكليز ـ كان اكثر منه اعتدالا ، اذ عبر عن مدى توقه لتقبيل الشفاه فقال : تمنيت لو ان للنساء فما واحدا . اذن لقبلته واسترحت .

مثل آخر على المغالاة

أنفقت هذا العمر في قنص
بين الاصيل يضيع والشفق

ماذا تبقى اليوم من عمر
بمواقد اللذات محترق

وبالتاكيد ، فانه لم ينفق عمره ـ وهو في اوله ـ بالقنص وانما سهر الليالي بطلب العلى . اسطع دليل على ذلك حصوله في اجازة الآداب باللغة العربية عام ١٩٧٣ ـ وهو في الثانية والعشرين وقد كان في جميع مراحل دراسته من المتفوقين .

عروبته

رويدك يا رضا ، ودع عنك مواقد اللذات ، فليست للطامحين امثالك ، وانما انت لعروبتك تفديها .. أفلست القائل :

وقومك ان دعا مجد لجلى
كرام يرخصون الروح صيد
يفدون العروبة وهي أم
بكل مقاتن الدنيا تجود

واين دم الصحراء يخطر في دمائك :

دم الصحراء يخطر في دمانا
وامس للغد المعسول نشد

ومن الاك وغير الازاهير النضرة الفواحة من امثالك ، الغربة القدس ، لشعبك للانسانية جمعاء . وعندك يعيد العرب سيرة حضارتهم الاولى ، وما ادراك ما سيرتها الاولى .

لشعبي وللانسان ابني حضارتي
لينعم في ظلي ويقطف من غرسي

الا بوركت حضارة العطاء وتبارك مولدك بالنار ، مستقبلا

تبارك مهر خط بالنار مولدي
وارخى عنان المجد في جبهة الشمس

والى التعب والصيام والجوع ، فللباطل جولة ثم يضمحل ، ونعود كما كنا : رسل حضارة للعالمين :

صلى لمن تعبوا لمن صاموا وجاعوا
ولنا الزمان وليس للطغيان باع

واخيرا فان ارادة الشعب لا تقهر :

ما ثار شعب حاق للحق الا وانتصر

ولا شك ان الشاعر عاش في املاق ، عقدين كاملين ، وحتى يومنا هذا تدل على ذلك ناصية حاله .. ولكن الفقر لم يقعد به مع القاعدين ، وانما سبيل العاملين فسعى الى العلياء ـ طلب العلم ، بهمة لا تعرف الكلل ، فكان له ما تمناه .. وكما كان مرموقا بين اقرانه ، في سائر مراحل دراسته فهو يبصم قدميه ، في مستهل حياته الكفاحية ليعلن للملأ في ديوانه البكر ، انه شاعر موهوب ، وانه لا بد ان يشار اليه بالبنان .. والشعر موهبة السماء ، لا يؤتاها الا من كان رهيف الحس وقيد العاطفة ذلك ان الشاعر يغني خلجات القلوب ، ويروح اهزوجة الاماني العذاب ، ليشرح منا الصدور وليشدنا اليه بحبل من مسد .. فهو النور ونحن الفراشة ، يجذبنا اليه لا لنحترق وانما نفتح له قلوبنا ليغدو حبيب الجميع .

غزلياته

والحبيب رضا رجب ذاق طعم العلقم في الكبت والحرمان ، فأراد ان يروح عن نفسه بالاحلام الذهبية ، يراها في صبحه والمساء ، وفي نومه واليقظة ، حتى خيل اليه انها الحقيقة وما هي بالحقيقة الا البؤس والتعاسة والشقاء .

واحبب بهذه الاحلام الذهبية التي تجمل حقله ياتلق

بالحبوب ـ رمز ـ الثورة ـ وبستانه ـ اذا جازت التسمية ـ موئلا للحور العين ، يرشف واياهن كؤوس الحب مترعة ، وبيته ـ يا لبيته المبني بالحجارة والطين ـ يغطي سطحه القرميد الاحمر وما درى ان القرميد الاحمر وقف على بيوت الموسرين ، وما هو منهم في شيء .

يهلل حقل لعرس الصباح
ويأتلق الحب والبيدر

ويهتف بالحب بستاننا
وبيتي وقرميده الاحمر

وبهذه الاحلام الذهبية حبا وعانق وقبل زائرته الحسناء

ظبي كأن الله قد القى رحال الحسن عنده
صب الضحى القا وسلسل من نجوم الافق عقده

ولكنه ضحك لما استيقظ من نومه :

وضحكت لما لم اجد نفسي تضم سوى المخده

وما يدرينا ان غزلياته كلها اضغاث احلام او انها نوع من أكل الجوز الفارغ . على انه لم يعدم حبا ، والا لما تفتحت قريحته الشاعرية على هذه الموائد الدسمة الشهية . واكثر مايستهويه الناهدان والشفتان . ويسبح للوجه المنور لانه صياغة الرب الرحيم :

جلوتك من غي شفاها وناهدا
ووجها الهي التسامي منور

واما العينان فلهما عنده حديث ذو شجون لانهما صياغة الريف الذي احبه حقا وعشقه صدقا . وبغير مغالاة فقد وقف في محرابه متعبدا . وكما ان العيون تقتل ـ عند جرير ـ فانها لدى رضا ـ حب بمثابة الرماح ، والرماح انما خلقت للقتل ايضا ، فالعين كالرمح تفتك بالمرء فترديه قتيلا ، فحذار حذار من العيون والرماح فكيف بغمز العيون ؟!

قد صاغك الريف من سحر ومن غنج
حسناء في ناظريها يسكر الالق

لا تغمزي الاقمار قد ترتمي
لا تغمزي .. صعب لقاء الرماح

ولئن احب فواحدة ، فليس للحب غير قلب واحد ، الا ان يكون نسيج وحده وتكون له قلوب متعددة .. ولكن القاعدة اجدر بالاتباع . وقد اشار الى ذلك بنفسه فالخالدان : حبه وريفه :

يغني الزمان وما يضم وخالد
حبي ومخضر الازاهر ريفي

وهكذا وسع قلبه ـ على غير العادة ـ حبه وريفه معا ...وقد رضي عن حبه ، لما شاع خبره في العالمين :

ها نحن اخبار بسمع الدنى
في مغرب الشمس وفي المطلع

وانه لحب لايباع ولايشرى :

ملء الزمان هواى لا تتصوري
حبي يباع ويشترى كمتاع

ما أحيلى هذا الرفض : فالاخلاص ، كل الاخلاص في حبه المقيم ابدا .

اني لارفض ان احب للحظة
لدقيقة لو تعرفين وساع

وآيته في هذا الحب :

سمراء يا خير حب
لشقوتي ولعمري

في هذا البيت اعتراف ، لاقبله ولابعده ، فلقد اقر ، للمرة الاولى ، بفقرة وتعسه ، كما جهر بحبه لواحدة سمراء ، لاينساها ولايبغي عنها عوضا ، ولابد ان تكون شريكة عمره وعزاءه في بلواه:

أهواه لا أرجو له بدلا
يغني الزمان ولست انساه

عاشق السنديان

ومثلما ان الريف يطرزجل غزلياته ، فهو بالتاكيد عاشق السنديان وبالتحديد عاشق قريته عناب ، المتربعة على عرش السنديان ، في بقعة من اجمل بقاع جبال العلويين ، حيث الجبال شاهقة كحد السيف وحيث السهول الخصيبة ـ سهوله المشهورة بانها اخصب اراضي سورية على الاطلاق ..وبالسنديان ينشرح صدره لانه شاهد مولد حبه الطهور :

والسنديان الباسط الاغصان رابية وتله
أهواك ندرج للطيور وانت للشاكي تعله
تخطو فتضحك زهرة لقدومنا وتهل فله

وكانت الزهور واغصان السنديان له بالمرصاد خشعا وتميس مع النسمات كالعاشقين :

من اي درب جئت هل زهرة
لم تنفعل بالخطو لم تخشع
هل ظل غصن لم يمس لهفة
لم يرتجف كالعاشق المولع

مسلسل المظالم

وبحرقة بالغة ، حكى مسلسل المظالم لقريته ـ عنابولسائر القرى النائمة على حد تعبيره ـ بصوت شجي لكنه صاف وعذب كرقرقة الماء في الساقية

ما كان احلاك لو ان الف يد
سوداء تمتد تجني عطر دنياك

فقرانا كلها مستغلة ، وهذه اليد السوداء يجبان تبتر ، وهذا الظالم يجب ان يلقى حتفه ، فما ينتهي الشاعر الا ان تخرج قريته من الظلام الى النور فتكتسي ثوب الكبرياء وتشع بالبهجة والسعادة :

متى سأشهد دنيانا مشعشعة
كبرا ويلبس ثوب النور عطفاك
ولا أرى ظالما يحكي والف فم
يلفه الصمت يلقى بالاسى خاك

واكرم به من قائل ، فليس لها الا ان تمسح الغشاوة عن جفنها وتمزق الحجب السود ، فلقد آن ان تقر العين :

ردي ازارك عن عينيك وانتبهي
افما تشهت للثم النور عيناك

وتناشد ابناءها الصيد الاليل ، وهم كفيلون بترقيتها الى عالم الافلاك

وحلقي فوق اهداب الضحى القا
حنت نجوم واقمار للقياك

الحنين في الغربة

وماأجمل هذه اللقيا . وهل رايتم اوفى من رضا رجب لبيئته ؟ وارحمتاه له في الغربة ، اذ يرمضه الحنين لقريته ، يناجيها بارق مناجاة ، ويدعوها باخت النجوم

هواك أعار القلب في الغربة السقما
فرحماك يا أخت النجوم الا رحمى
لقد مضى شوق ملح فهل ترى
نعود لمغنى الحب نشبعه لثما

ويسترسل في المناجاة ، فيصف مفاتنها ، بريشة رسام بارع ، ويخلص الى لثم تربها الخضيل ثم ينثني الى أمه ، يزفها شوقه الدفين ، وهي التي ارضعته الطموح وعلو الهمة :

وقد برح الشوق الدفين بمهجتي
لمن ارضعتني المجد والهمة العظمى

وبعد ان يعدد مناقبها وعطاءها الكبير ـ والامومة عطاء دائم ـ يركع تحت قدميها ساجدا متعبدا ، شان الابناء البررة ، وواضعا نفسه رهين اشارتها

جعلت فؤادي رهن ما شئت من هوى
وما مخطىء في الحب من يعبد الاما

وملاحظة : اليس لوالده حظ فيه ؟ ام ان الامومة تعني الوالدين ـ والمعنى في قلب الشاعر ـ ولعله نسج على منوال المتنبي الذي ذكر والدته واغفل والده .

في الاسلوب

وفي الختام ، اراني اطلت الاستمتاع بهذا الديوان الشيق الدفاق بحيوية الشباب وملاحة الشباب وغلو الشباب وصراحة الشباب وحب الشباب للشابات والمراهقين للمراهقات . وعذري اني في شيخوختي ، لا بد وان استروح ذكريات شبابي ، بالقياس الى شباب الحاضر . فان لم استبك فلا اقل من ان ابكي .

في اسلوبه الكثير من خصائص المدرسة الجمالية الابداعية ابرزها البساطة ووضوح الرؤيا وحسن التعبير ، وبها الصورة متوجة بالجمال كل الجمال . وقد كشف الشاعر عن فحوى ديوانه:

هذا كتابي ... فيه همس اصابعي
في الناهدين وصرخة القبلات

وما أبعد الفرق بين الهمسة والصرخة ، على ان لكل مقام مقال .. وقد عرف نفسه بنفسه وآية الحكمة « معرفة الانسان نفسه » .

عرفتني الحياة حرا جسورا
عاينت همتي ورفعة بأسي
كيف اخشى الحياة والصدق نهجي
وشعاري الدؤوب حب الناس

ومن كان شعاره الصدق والمحبة ، فلا يخشى في الحق لومة لائم ناهيك عن ان الصدق والمحبة هما جماع الفضائل كلها . روى عن النبي العربي ان شخصا قطع له عهدا بالنهي عن احدى المعاصي الجديدة التي يرتكبها فقال : لا تكذب . ولما لم يكذب انقطع عن المعاصي كلها .

ومن صميم القلب اتمنى أن يكبر شعر الشاعر كلما كبر . وعندئذ فلا بد ان يصبح من الشعراء الخالدين . ويا لحماس الشباب فقد جعله ان يستبق اوقاته ، اذ قاس نفسه بما لايقاس فزعم الخلود لشعره وماذا ابقى للمتنبي وابي العلاء ؟

يفنى الوجود ويبقى
في مسمع الكون ذكرى

انها عدوى « العنترية » وما اكثر « العناتر » قولا لا فعلا ..

مصياف ـ مصطفى الخش

أخبار ثقافية

مجلة شؤون عربية

والعدد الجديد ـ الخامس

● صدر العدد الجديد من مجلة « شؤون عربية » لشهر تموز ـ يوليو ـ ١٩٨١ م رمضان ١٤٠١ هـ وتضمن اثني عشر بحثا واربع ندوات الى جانب باب ـ مناقشات واليوميات وباب الوثائق وتقريرا عن المراة العربية في حقول التعليم والعمل والصحة وموضوع ـ مشروع انشاء وكالة عربية للتاليف والترجمة والنشر . ومقدمة العدد التي دارت حول انشاء المجلة ومسيرتها خلال الاربعة اشهر الماضية وعبر اعدادها الخمس التي صدرت حتى الآن ونورد ما جاء في آخر المقدمة هذه التي كتبها الاستاذ أنيس صايغ رئيس التحرير / حصرت : شؤون عربية . اهتماماتها ومعالجاتها بهذه الحقول الخمسة التي ذكرتها في تصدير العدد الاول من المجلة في مارس آذار من هذا العام : الا وهي

● قضايا العمل العربي المشترك على مختلف صعده وصوره ومستوياته وهموم المجتمع العربي الواحد ومشاكله وقضاياه وطموحاته ، وابراز التراث العربي والعطاء العربي الحضاري للعالم ، وتعريف العربي بالعربي ، انسانا وامة ووطنا وتطلعات :

واخيرا تعريف المواطن العربي بالجامعة العربية بامانتها العامة ومنظماتها المتخصصة حاضرا وآمالا واطلاعه على اوضاعها وتركيبها ومخططاتها ومساعيها لخدمة الامة . وقد كتب في هذا العدد / الخامس / ثلاثة وعشرون كاتبا ـ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر / د . شكري نجار . د . حسن حنفي . أميرة الزين ومقابلتها مع جاك بيرك . د . حامد عمار . واحمد الرباع وعلي فهمي و د . ناهد رمزي وغيرهم .. ومن مواضيع هذا العدد الجديرة باهتمام القاريء / التراث والتغير الاجتماعي ـ النفط والتغيرات الثقافية والاجتماعية ـ الثقافة العربية كمحور للمقاومة ضد التبعية .. النفط واثره على تغيير دور المراة .. الى جانب ما جاء في باب / الكتب / الشرق العربي والغرب للكاتب ناجي علوش وفي باب الندوات / الحوار حول الفصحى والفصحى المبسطة .

هذا وقد قالت عنها جريدة (الشعب) الموريتانية في عددها الصادر ٢٣ رمضان ١٤٠١ هـ انها مجلة لتكسير الحواجز واذابة الفوارق في الآراء والمواقف العربية .

● ●

● المرأة المتعبة لفرانسوا ساغان ●

● بعد صمت طويل ، اعتقد معه المهتمون بأدب فرانسوا ساغان الاديبة الفرنسية بانها قد امتنعت عن الكتابة . فاجأت القراء بكتابها الجديد «المراة المتعبة» و « المراة المتعبة » رواية يجانب مجموعة من القصص في ٥٠٠ صفحة ، تتناول فيها تجربتها كأمراة واديبة وانسان .

● كتب متفرقة ●

● دراسات في الادب الجاهلي هو عنوان الكتاب الذي صدر مؤخرا للدكتور محمد التونجي وكيل كلية الآداب للشؤون العلمية بجامعة حلب ، ويعتبر هذا الكتاب الثالث من نوعه في ميدان الدراسات الادبية للشعر الجاهلي التي صدرت للمؤلف .

* * *

● ابطال مهجولون : مجموعة قصصية صدرت لمحمد نديم بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب وسبق له (الطفل والمغامرة) و (عام جديد) .

* * *

● صدرت مؤخرا للاديبة عالية ممدوح رواية للاطفال بعنوان ليلى والذئب تقع في ٢٥٧ صفحة ، من القطع المتوسط وتتناول احداث لبنان بشكل رمزي وبسيط .

* * *

● عن (دار العلم) بدير الزور صدرت مجموعة شعرية للدكتور عبد الحميد الشيخ عطية تحمل عنوان (رؤى وبترول) . صمم الغلاف بشار رکاض .

الممكن والمستحيل

مجموعة أشعار ممكنة ـ لرضا رجب

● حلمنا عصورا :
بشكل رغيف كوجه القمر
بدالية أو حجر
حلمنا بفاتحة البشر
ملأنا الجفون بخبز المدى
طحنا الرياح وخضر الشجر
نصبنا الخيام على تلة من الفقر
مربوطة بالمطر

● صور ممتعة ، وعميقة الابعاد .. بسيطة ولكنها تحرض على التأمل والاستغراق . من الناحية النسيجية لشعر المجموعة تقف الاشعار فيها في صف البحور الموروثة .. وتلتزم بالبلاغيات أما في صف الحداثة فانها تتراوح بين الممكن والمستحيل ـ احيانا .. والشعر ككل مقبول ولو كان على اية وتيرة .. انما المدهش ينبثق من بين تلافيف السطور الشعرية والكلمات والصورة المفاجئة .. بالنسبة للقارىء العربي في هذه المرحلة .. فثمة اكثر من نوعية .. ولكي نرضي ذوقه علينا بالانتساب .. في مجموعة (رضا رجب) هذه الممكنة .. تتجدد عند صاحبها فكرة الانطلاق والذهاب خلف سحابات قد تمطر وقد لا تمطر .. المهم هو الشاعر الذي يمكن طرح اكثر من سؤال عليه .. ولكن صديقنا (رضا رجب) يظل في الحقل ذلك الصوت الاكيد الذي يجعلنا نلتفت بدهشة الى مصادر انبعاثه عاليا في الدروب اللاحبة .

وبالتالي / الشكل في المجموعة هو الشكل .. وانما فرده الشاعر على الصفحات فتحجمت بالطول والكثرة ولكن لا بأس أن يفرط « البيت » الشعري على السطور ما دامت موسيقاه ترتبط بالبحر المقرر الموروث .

بصورة عامة المجموعة تحتاج الى اكثر من هذا الكلام ليعطي القارىء تحليلا اشمل يمت الى الجنس النقدي اكثر والا ما هذا الذي كتبناه هنا الا تحية محبة وتقدير للشاعر الصديق رضا رجب .. الذي الشعر عنده هم من همومنا اليومية .. كالخبز والماء .

(ا . ع)

المتنبي والقرامطة

عن دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع في الرياض بالمملكة العربية السعودية ، صدر كتاب رقم ٣٤ ضمن سلسلة المكتبة الصغيرة بعنوان « المتنبي والقرامطة » تأليف الدكتور محمد محمد حسين استاذ الادب العربي في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية . الكتاب في ١١٨ صفحة من الحجم الصغير .

* * *

● كتاب تراثي عربي ●

* اكتشف فريق من الباحثين المشتغلين باحياء التراث العربي الاسلامي في اكاديمية العلوم السوفياتية بكازان نسخة خطية نادرة من كتاب عربي في علم الفن بعنوان ـ نزهة الحدائق ـ تتضمن هذه النسخة معلومات دقيقة في حساب الفلك .

* * *

● الشاعر حسان عطوان ● وجائزة الشعر الاولى في الشارقة

● الشاعر المذيع ـ حسان عطوان فاز بجائزة الشعر الاولى التي أجرتها جريدة « الخليج » في الشارقة باشراف الشاعر المعروف محمد الماغوط وقد نال الشاعر حسان مكافأة مالية قدرها (٢٠٠٠) درهما على هذه الجائزة . تهانينا للصديق الشاعر حسان عطوان . والف مبروك .

* * *

● الشعر والشعراء في سورية ●

* أجرى المذيع الشاعر (حسان عطوان) حوارا ادبيا في قطر تحدث فيه عن الشعر والشعراء في سورية وقد خصص قسما من حديثه الى « قصيدة النثر » ورواديها في القطر العربي السوري منهم من الاوائل سليمان عواد ـ اسماعيل عامود ـ محمد الماغوط ـ وهؤلاء كانت بداياتهم الشعرية في أواخر الاربعينات

محافظة مدينة دمشق

ترحب

بشباب الامة العربية

بمناسبة

مهرجان الشباب

العربي الخامس

دار الرفاعي

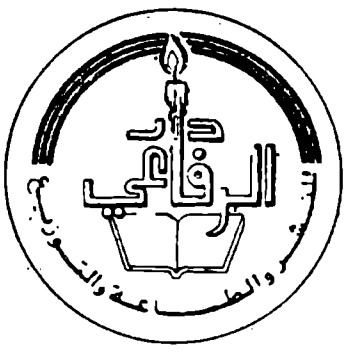

تقدم لك

سلسلة المكتبة الصغيرة

السلسلة الشعرية

مكتبة الدراسات

سلسلة الصنائع دينية

الدار تقوم بكثير من النشاطات في مجال التأليف والنشر

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

الرياض ص.ب.: ١٥٩٠

ت.: ٢٧٧٧٢٦٩

المحتوى

١	الشاعر الكبير / بدوي الجبل في ذمة الله	رئيس التحرير
	الدراسات :	
٢	السهروردي	د . محمد جبر
١٥	من الادب المهجري / الشاعر شفيق عبدالخالق	نعمان حرب
٢٣	حركة النشر في نادي الرياض الادبي	سمر روحي الفيصل
٤٥	ابو نواس بين الرمزية والسخرية	محمد علي اسماعيل
٥٢	قراءة في نتاج ــ خيرة بغدود	احمد دوغان
	الموضوعات :	
١٢	سعيد الجزائري ــ دمعة وذكرى	حامد حسن
	القصة :	
٢٠	ايقاعة في القطار الساكن	دريد يحيى الخواجه
	الشعر :	
٣٠	طيفان	حامد حسن
٣٣	هدأ السلاح	نجم الدين الصالح
٣٧	النجم المسافر	ابراهيم منصور
٤٠	ما الشعر ..	شكيب تقي الدين
٤١	عاطفة امرأة بين الحب والحرب	عبد اللطيف الموحي
٤٢	ليلة العمر	د . انور الزعيم
٤٣	في ذكرى ابي اليسر عابدين	عبد المجيد تجار
	مكتبة الثقافة :	
٥٦	في ظلال السنديان للشاعر رضا رجب	مصطفى الخش
٦٠	أخبار ثقافية	